وكلهم مسلمون الا قليلاً وفيهم من محبي اوطانهم مثل ما في الشعب الانكليزي فلا يخطر ببال احد منهم الميل الى الخضوع لسلطة من يخالفه في الدين والجنس ولا يصح لحضرة اللورد وهو عَلَى علم بطبائع الامم ان يتصور هذا الميل في المصريين . فقال الوزير هل تنكران الجهالة عامة في اقطار مصر وان الكافة لا تفرق بين الحاكم الاجنبي والحاكم الوطني وان ما ذكرته من النفرة من سلطة الاجانب انما يكون في الامم المهذبة * فاحتد الشيخ حدة تليق بمسلم لا يتهاون في اداء ما فرضه الدين واوجبته حقوق الملية وقال * اولاً ان النفرة من ولاية الاجنبي ونبذ الطبع لسلطته مما اودع في فطرة البشر وليس بمحتاج للدرس والمطالعة وهو شعور انساني ظهرت قوته في اشد الامم توحشاً كالزولوس الذين لم تنسوا ما كابدتموه منهم في الدفاع عن اوطانهم * وثانياً ان المسلمين مهما كانوا وعلَى اي درجة وجدوا لا يصلون من الجهل الى الدرجة التي يتصورها الوزير فان الاميين منهم ومن لا يقرأون ولا يكتبون لا يفوتهم العلم بضروريات الدين ومن اجلاها واظهرها عندهم ان لا يدينوا لمخالفيهم فيه وان لهم في الخطب الجمعية ومواعظ الوعاظ في مساجدهم ما يقوم مقام العلوم الابتدائية وان جميع ما يتلقونه من النصائح الدينية يحذرهم من الخضوع لمن لا يوافقهم ويحدث فيهم من الاحساسات الشريفة الانسانية ما لا ينحطون معه عن سائر الامم خصوصاً المصريين الذين ينطقون باللسان العربي ويفهمون دقائق ما اودع في

ذلك اللسان وهو لسان دينهم* وثالثاً ان ارض مصر من زمن محمد علي قد انتشرت فيها العلوم والاداب الجديدة عَلَى نحو ما هو موجود في بلاد اوربا واخذ كل مصري نصيباً منها على قدره ولا تخلو قرية من القرى الصغيرة من ان يكون فيها قارئون كاتبون والاخبار العمومية توصلها اليهم الجرائد العربية ومن لم يقرأ يستنبي الاخبار من القارئين فبهذا اضافوا الى الشعور الطبيعي والتقليد الديني محبة وطنية منشاؤها التهذيب العمومي قوى بها الميلان الاولان ولا اظنهم يخالفون في ذلك سائر الامم ٠اه

اين العلماء الاذكياء اين الجهلة الاغبياء ابن الاباة الاعلياء ابن السفله الادنياء ليري كل واحد منهم منزلة الشرقيين عند رجال الحكومة الانكليزية كل ذي شكل انساني وصورة بشرية يدرك ماوراء هذه الاسئلة وما تشف عنه هذه الظنون العجيبة٠ هذا اللورد هرتنكتون وزير الحربية الانكليزية يظن ان الجهل بلغ من المسلمين عموماً والمصريين خصوصاً الى حد سلب عنهم كل احساس انساني وانهم في حضيض من الجهل لايميزون فيه بين الغريب والقريب ولا بين العدو والحبيب هذا دليل عَلَى ان الانكليز (الا من انار الله بصيرته ووفقه لفهم الصواب) يعتقدون ان الامم الشرقية والامة المصرية في درجة الحيوانات السائمة والدواب الراعية لاتتألم الا من الجوع وفواعل الطبيعة المادية وليس لها من الاحساس الا نوع من الانفعالات البدنية ولا تعرف من شؤنها الا مابه تقوم حياتها الحيوانية فتالف راكبها والعامل عليها ومستخدمها

في اى عمل من الاعمال الشاقة مادام يقدم لها طعاما وشرابا وانها تهش و تبش لرؤ ية من يقدم لها غذاءها وعشاءها وان كان من اشد البلاء عليها بما يسومها من مشاق الاعمال فاذا عجزت عن العمل ذبحها وتغذى بلحومها * الا فاعجبوا * ان كانت هذه عقيدة رجال الحكومة الانكليزية في الامم التي يتسلطون عليها فاي معاملة تكون منهم لها الا يعاملونهم معاملة العجموات والحيوانات الرتع بلى وهكذا يعاملون وهذا تصرفهم في البلاد الهندية يشهد بافصح لسان عَلَى مايعملون ·

فالمصريون الان بين امرين افضلهما ايسرهما اما ان يتناكفوا ويتضافروا و يبذلوا اموالهم وارواحهم في حفظ شرفهم الانساني ومكانتهم العربية واداء حق عقيدتهم الدينية و يخلصوا انفسهم من عبودية قوم لاينظرون اليهم الا كما ينظرون الى البغال والحمير وان هموا بذلك وجدوا لهم من اخوانهم المسلمين انصارا ينتظرون الان حركة منهم وهذا اشرف الامرين وما هو عليهم بعسير * واما ان ينسلخوا عن جميع الخصائص الانسانية و يخلعوا حلية الايمان و يتبرأ منهم شرف العرب وليحملوا ناف العبودية على اعناقهم وليقاسموا الحيوانات في حظوظها وليستعدوا لكل ذلة وليقبلوا كل ضيم وهذا اعسر الامرين وادناهما وما اظن مصريا يختاره لنفسه ولئن اختاره « معاذ الله» فسيذهب الله بهم و يورث الارض قوما اخرين فان الله غيور عَلَى دينه غيور عَلَى العدل منتقم من الضالين وانا لله وانا اليه راجعون ·

اللورد نورثبروك حاكم مصر الجديد

كثيراً ماتينا في جريدتنا عَلَى بيان مسالك الانكليز في تملك الهند وتذليلهم لاهاليه · وذكرنا ان سيرة الحكومة الانكليزية في افتتاح البلاد لاتشابه سير الفاتحين الذين يزحفون بخيلهم ورجلهم عَلَى الاقطار فيقتلون ويقتلون حتى يتغلبوا على من يريدون · وقلنا ان الانكليز ملكوا نحو ثلث العالم بلا سفك دماء غزيرة ولا صرف اموال وافرة وانما ملكوا ما ملكوا بسلاح الحيلة · يدخلون فى كل بلد اسودا ضارية في جلود ضان ثاغية · يعرضون انفسهم في صورة خدمة صادقين وامنة ناصحين طالبين للراحة مقومين للنظام · نادينا مرار بان الانكليز اذا ارادوا التدخل في ملك للشرقيين ورأوا ان القائم به رجل حاذق بصير وان وجوده في الملك يبطئ سيرهم الى مايقصدون بادروا الى التشويش عليه فاما ان يفسدوا عليه قلوب رعيته ويثيروا عليه احقادها او يغروا احد اعضاء العائلة المالكة بالعصيان وطلب الملك ليجدوا في ذلك وسيلة للدخول في الامر او يتفقوا مع الوزراء عَلَى خلع صاحب السلطة ثم ينصبون بدله اما ضعيفا احمق واما صبيا لم يبلغ الرشد اما من ابناء الممالك او اقار به ليتمكنوا من بلوغ مقاصدهم تحت علمه ويبلغوا غاياتهم باسمه ويقطعوا المسافة الطويله في مدة قصيرة بلا ممانع ولا عائق مع اصابتهم جزيل الاجر عَلَى ماعملوا في بداية العمل ·

هذا كما فعلوا من مدة غير بعيدة مع « راجا برودا » خلعوه بدعوى باطلة لما احسوا فيه البصيرة والحزم واقاموا بدله ولدا صغيرا من عائلته ثم انتصبوا له اوصياء فوضعوا ايديهم عَلَى جميع خزائنه وتولوا ادارة ممالكه واستاموا قيادة عساكره ولم يبق له الا الاسم يذكر ولا يشكر كل هذا تحت راية العدالة والاصلاح وحفظ الراحة وتقرير النظام ولم يسعوا اليه الا بباعث المحبة والاخلاص « ولا يذكر هناك اسم التملك والاستيلاء » نعم ولهم الحق في استبقاء اسم والسكوت عن اخر فان امراء الشرقيين لايبالون بما دلت عليه الاسماء وانما يهمهم طنطنة الالفاظ وضخامة الالقاب . اذا سلب الامير الشرقي ملكه وماله وجرد من جميع حقوقه وبقي له لقبه ولواحق لقبه فهو في سكرة من لذة مابقي له وفي ذهول عما سلب منه . هذه خلة عرفها الانكليز في كل امير شرقي فلم لايقرون اعينهم بحفظ هذه الاسماء بعد ماجردت عن معانيها واي داع يدعو رجال الانكليز لازعاج قلوب الامراء بنزع هذه الالقاب ان اللقب الضخم حصن حصين يسجن فيه الامير الشرقي اوجب عميق يلقى فيه وهو يظنه جنة عرضها السموات والارض فليعش امراء المشرق متمتعين بنعيم القابهم وسعادة اسمائهم ويكفهم من المجد ان يقال لهم بين خدمهم وخاصتهم في داخل دوائرهم « نواب صاحب » « راجا صاحب » « خديوي صاحب » « سلطان صاحب » . « واخجلتاه » هذه الالقاب كانت تشير الى ملك فسيح ومجد شامخ وشوكة قوية وسطوة تخضع لها

الشم العوالي فكيف طابت نفوس امراء المشرق بقبولها عارية من كل شرف لم يبق من معناها الا سلطة على الخدم والحشم وما هم فيها باحرار بل لا بد ان يوافقوا فيها رضاء الاجانب ·

من ادق رجال الحكومة الانكليزية في فن الحيلة وامهرهم في صناعة الخدعة واطولهم باعاً في النفاق واحذقهم في اختراع الوسائل لسلب الاملاك من اربابها واشهرهم في عداوة المسلمين ذلك اللورد المحتوم (نور ثبروك) * كان هذا الرجل البارع حاكماً في الهند فاذاق اهاليه مر العذاب في كؤس المحبة والوداد· كم خرب بيوتاً وقلب عروشاً وكم خفض رفيعاً واذل عزيزاً وهو في جميع سيئاته يبكي بكاء الشفقة ويسكب دموع المرحمة على الهنديين ويقول انني اول انكليزي تهمه رفاهة اهل الهند وانني وحيد بين الانكليز بمحبة الهنود والسعي فيما يعود عليهم بالصلاح والنجاح وانني استغفر الله ان كنت قصرت في عمل يؤول بهم الى الفلاح وينادي في الهنديين بقوله واسفاه انكم الى اليوم ماعرفتموني ولا احطتم بما حواه ضميري من ارادة الخير لكم هذا هو الكاهن الحاذق في وعظه « ودونه في النفاق عبد الله بن ابي سلول راس المنافقين في الاسلام » ·

ان الحكومة الانكليزية عرفت قدره في براعته ومعرفته بوجوه المكر وخبرته باحوال الامراء الشرقيين وسعة علمه بكيفيات التصرف في عقولهم واهوائهم وطرق اخذهم من حيث لايشعرون واعترفت له

حكومته بصدق الطوية في معاداة المسلمين . لاجل هذا قررت ان تبعثه علَى مصر وعزمت على ارساله اليها مفوضاً من قبلها يفعل مايشاء ولكن لا نظن حبالته الخداعية تصرع فطانة المصريين وتاخذ عقولهم . فان تسنى له نجاح ورضى المصريون على انفسهم عار الذل ووصمة الضيم فلا يكون الا باستعمال توفيق باشا آلة في جميع اعماله يستخدمه لادخال مصر في ملك الحكومة الانكليزية . يلقنه الاوامر السامية ويلهمه الارادات السنية لتذليل اهل بلاده وسوق المصريين لقتل اخوانهم وفتح البلاد الثائرة واقرار السلطة فيها للحكومة الانكلزية فان تم له مايريد من تسكين الفتن وتقريب المصريين للرضاء بحكومة تنفر منها طباعهم عمد الى خلع توفيق باشا باية علة وطلب تولية ابنه عباس لكونه ولداً صغيراً لم يبلغ الحلم واستند في ذلك الى الفرمانات السلطانية « يحترمونها اذا وافقت اغراضهم » وجعل نوبار باشا ديوانا له «الديوان وزير يعينه الانكليز من طرفهم في الممالك التي تبقى في الهند تحت اسماء الامراء الذين لايعرف فيهم الرشد ولا يجوز عزله الا بامر من الحكومة الانكليزية » . نوبار باشا لايقصر في هذا العمل ولا يالو جهدا في ابلاغه الى نهايته . نوبار باشا رجل لاهو مسلم فيغار علَى دينه ولا هو مصري فيحتمي علَى لوطنه ولا هو عربي فتأخذه النخوة علَى جنسه وبهذا الطريق ينال سلطة في القطر المصري مدة لاتنقص عن الباقي من عمره ويكون في امان من العزل تحت ظل الحكومة الانكليزية .

هذه مقاصده التي بلغتنا من مصدر يوثق به ولا نظنه ينجح فيها فان صلاح الامر في مصر لا يقوم به الا من هو اعرف بحال المصريين واقرب اليهم من « نور ثبروك » هذا اللورد يسلك في سيره على ماجرى عليه في الهند انا نذكر طرفاً من اعماله عبرة للمعتبرين * (ان جيرت سنك) كان راجا على ممالك (جنبه) الواقعة في جنب (عنبرسر) من طرف (همماليا) فلما مات هذا الملك تولى ابنه (سرسينك) وهو ولده من الملكة ثم مات وتولى شقيقه (سوجت سنك) على طبق قانون الوثنيين فلما ذهب اللورد (نور ثبروك) حاكما في الهند قصد الى تنفيذ حكمه في تلك المملكة واستملاك اراضيها حسب المألوف بين امثاله من رجال حكومته فطلب من « سوجت سنك » ان يتنازل عن الملك لاخيه « قوبال سنك » وكان وليداً من جارية ولا يجوز في قوانين الوثنيين ان يتولى الملك ابناء الاماء مادام من ابناء الاحرار حي فلما تمنع « سوجت سنك » من التنازل اعتمادا على قانون بلاده انزل بحكم اللورد جبراً بعد ماضربت زوجته التي كانت ملكة تلك البلاد « لكونها زوجة الملك » ونهب جميع ماكان في بيت الملك من الخزائن والتحف والجواهر الثمينة والمخلفات القديمة « انتيكات » التي كانت يتوارثها الملوك من اجيال طويلة « فان عائلة الملك كانت من قدماء العائلات الملوكية » ثم نصب بدله « كوبال سنك » وبعد مدة قصيرة عزل « كوبال سنك » ونصب ولده الصغير « سيام سنك »

ليكون الامر والنهي حسا ومعنى بيـــد امرآء الانكليز وتحت تصرف الديوان الذي اقاموه من طرفهم · هذا نموذج لما يطول عده من اعمال اللورد نورثبروك في الهند ·

ثم ان « سوجت سنك » المخلوع ظن ان نورثبروك وحده هـــو الظالم وانه لو رفع امره للحكومة العليا في لوندرا يجد لديها عدلاً و يصادف منها انصافاً فجاء من مدة ست سنوات وعرض حاله عَلَى الحكومة العادلة فاذا القلوب متشابهة والنفوس متوافقة والاراء متألبه عَلَى سلب الحقوق والغلو في العدوان · وفي خلال هذه المدة انفق كل ما كان عنده في المطالبة بحقه والمرافعة مع ظالمه حتى اصبح صفر اليدين لا يملك قوت يومه ولا يجد له منصفاً هذا الملك السيء الحظ مع ما كان له من رفعة الشان وارتفاع نسبه ـــ في الملك الى اجداده الاقدمين من نحو الف سنة نراه الان يتضور من الجوع في بلاد اور بارث الثياب حقيراً ذليلاً * هذا الذي احترمه اللورد نورثبروك * هذا هو اللورد نورثبروك الذي تريد حكومة انكلترا ان ترمي به مصر * وهذا هو الاصلاح الذي يقصد اجراءه فيها * لكن رجاءنا في المسلمين واملنا في المصريين وقوة ايماننا بوعود الله وصدق النبا عما تكنه الحوادث المصرية وتالب الدول عَلَى معاكسة الحكومة الانكليزية واضطرار الدولة العثمانية للدفاع عن مصر كل هذا يبشرنا بخيبة هذا الغادر في قصده والله لا يهدي كيد الخائنين

اذا اراد الله بقوم خيراً جمع كلمتهم

سرنا من الجرائد الفارسية صدقها في خدمة اوطانها واعتدالها في مشاربها وزادنا مسرة اهتمامها بترجمة بعض الفصول المهمة من جريدتنا ونقلها الى اللسان العذب الفارسي مما نظن فيه تنبيهاً لافكار المسلمين واستلفاتاً لعقولهم الى ما فيه خيرهم فلها منا ومن كل مخلص في محبة ملته اوفر الشكر خصوصاً جريدة (اطلاع) التي تطبع في مدينة طهران . وهذا المنهج القويم مما تعم به الفائدة في جميع الاقطار الاسلامية فان جميعها بعد بلاد العرب وان اختلفت السنة سكانها باختلاف شعوبهم الا انهم ينطقون باللغة الفارسية فهي في الشرق كاللسان الفرنساوي في الغرب وكان بودنا ان يعززوا افكارنا بما تجود به قرائحهم السليمة واذهانهم الصافية وترشدهم اليه عقولهم العالية . خصوصاً فيما يتعلق بالدعاء للوحدة الاسلامية واحياء الرابطة الملية بين المسلمين . لاسيما في الاتفاق بين الايرانيين والافغانيين . هاتان طائفتان هما فرعان لشجرة واحدة وشعبتان ترجعان لاصل واحد هو الاصل الفارسي القديم وقد زادهما ارتباطاً اجتماعهما في الديانة الحقة الاسلامية ولا يوجد بينهما الا نوع من الاختلاف الجزئي لا يدعو الى شق العصا وتمزيق نسيج الاتحاد وليس بسائغ عند العقول السليمة ان يكون مثل

هذا التغاير الخفيف سبباً في تحالف عنيف ·

ليس ببعيد عَلَى همم الايرانيين وطو افكارهم ان يكونوا اول القائمين بتجديد الوحدة الاسلامية وتقوية الصلات الدينية كما قاموا في بداية الاسلام بنشر علومه وحفظ احكامه وكشف اسراره وما قصروا في خدمة الشرع الشريف باية وسيلة * نعم البخاري ومسلم والنيسا بوري والنساي والترمذي وابن ماجه وابو داود والبغوي وابو جعفر البلخي والكليني وغيرهم ممن انبتتهم اراضي ايران * ابو بكر الرازي الطبيب الشهير والامام فخر الدين الرازي ممن نشاؤا في طهران · ابوحامد الغزالي حجة الاسلام وابو اسحق الاسفرايني والبيضاوي وخواجه نصير الدين الطوسي والابهري وعضد الملة والدين وغيرهم من علماء الكلام والاصول ممن تفتخر بهم بلاد فارس وهو فخار للمسلمين · الفيلسوف الشهير ابوعلي بن سينا وشهاب الدين المقتول ومن على شاكلتهم ممن جبلوا من تراب فارس * ان اهل فارس كانوا من اول القائمين بخدمة اللسان العربي وضبط اصوله وتأسيس فنونه منهم سيبويه وابوعلي الفارسي والرضي ومنهم عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة لبيان اعجاز القران وفهم دقائقه على قدر الطاقة البشرية وصاحب صحاح الجوهري من احدى قراهم ومجد الدين الفيروزابادي من احدى بلدانهم · الزمخشري والسكاكي وابو الفرج الاصفهاني وبديع الزمان الهمداني وغيرهم ممن بينوا دقائق القرآن وشيدوا معالم الدين كلهم من

ارض فارس · الطبري اول المؤرخين والاصطخري والقزويني اول الجغرافيين كانوا من بلاد فارس · الشبلي كان من نهاوند وابويزيد البسطامي كان من بسطام والاستاذ المروي وهو الاستاذ الحقيقي للشيخ محي الدين بن العربي كان من هراة وكلها بلاد ايران * هل ينسى صدر الشريعة وفخر الاسلام البزدوي والامدي والمرغيناني والسرخسي والسعد التفتازاني والسيد الشريف والابيوردي وكلهم من ابناء فارس * من اين كان القطب الشيرازي والصدر الشيرازي وراس الحكمة في المتاخرين مير باقر الدامادومير فندركسي وغيرهم · كانوا من بلاد فارس ؟ اي فضل كان ولم يكن لهم فيه اليد الطولى اي مزية من الله بها على الاسلام ولم يكونوا من السابقين لاقتنائها نعم وفيهم جاء من قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كان العلم في الثريا لناله رجال من فارس ·

فياايها الفارسيون تذكروا ايادیكم في العلم وانظروا الى اثاركم في الاسلام و كونوا للوحدة الدينية دعامة كما كنتم للنشأة الاسلامية وقايه · انتم بما سبق لكم احق الناس بالسعي في استرجاع ما كان لكم في فتوة الاسلام انتم اجدر المسلمين بوضع اساس للوحدة الاسلامية وما ذلك ببعيد على طيب عناصركم وقوة عزائمكم * اظن لا يخفى عليكم ان هذا الوقت هو احسن الاوقات لندائكم بالوحدة مع الافغانيين والتحالف معهم على مقاومة العادين لتكونوا بالاتحاد معهم حصناً حصيناً وحرزاً

منيعاً تقف دونه اقدام الطامعين * اظنكم لم تنسوا ان استيلاء الانكليز عَلَى الممالك الهندية انما تم بوقوع الخلاف بينكم وبين الافغانيين * هل يخفى عليكم ان كل مسلم في الهند شاخص بصره الى طرف بنجاب ينتظر قدومكم اذا اتحدتم مع اخوانكم الافغانيين . حصلت لكم تجارب كثيرة وشهدتم من مظاهر الحوادث ما فيه اكمل عبرة فهل يصح بعد هذا ان تستمروا على التجافي والتباعد مع علمكم ان الوحدة منبت الشوكة . هذا آن التآخي والتوافق هذه اوقات التحالف والتواثق . احاط الاعداء ببلادكم شرقاً وغرباً وكل يشحذ سفيه ويسدد سهمه حتى تمكنه الفرصة من شن الغارة على اطراف بلادكم . فلو ضاعت الفرصة في هذا الوقت فربما لاتصادفوها في غيره . الانكليز في ارتباك شديد في المسئلة المصرية مع ضعفهم في القوة العسكرية ومتورطون باختلاف الدول عليهم ومعاكساتها لمقاصدهم . الامير عبدالرحمن خان امير افغانستان عَلَى مانعهده من اول شبوبيته اشد الناس عداوة للانكليز وبينه وبينهم حزازات لاتزول بل نقول ان عداوة الانكليز سارية في عروق الافغانيين عموماً ممتزجة بدمائهم . فلو حصل الاتفاق الآن بين سلطنة الشاه وبين امارة الافغان لوجدت قوة اسلامية جديدة في المشرق بين سائر الطوائف الاسلامية وينبعث فيهم وفي سائر المسلمين حياة جديدة وتتجدد لهم آمال جليلة وتتنعش بذلك ارواح المؤمنين . هذا وقت تنبهت فيه افكار الافغانيين الى اعمال جيرانهم في المسئلة المصرية وتحركت فيهم

السواكن وهي اعظم فرصة لاهل فارس في دعوتهم للاتحاد معهم

هذا عمل من اجل الاعمال واجزلها فائدة وان من اكبر الفضل ان يقوم اهل الفضل من اهالي ايران بتحرير الفصول ونشر الرسائل في بيان فوائد الاتفاق بين الطائفتين وان لذلك لاثراً عظيما في النفوس خصوصاً ان كانت من اقلام العلماء الاعلام والمجتهدين الكرام * العالم الانساني عالم الفكر والكلام فاحكام الفكر الصالح ونشره في الكتب والرسائل والجرائد مما يؤثر اجمل الاثر في تهذيب الناس وتثقيف عقولهم وازالة الضغائن المفسدة لمعاشهم ومعادهم فاذ قام المستبصرون وخطبوا ووعظوا وكتبوا ونشروا مع الوقوف عند الحدود الدينية والاصول الشرعية كان فضل الله كافلا لهم النجاح * اي فرق بين الافغانيين واخوانهم الايرانيين * كل يومن بالله وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم · عبد الرحمن خان بما اكسبته التجارب اول من يتقدم لهذا الاتفاق ولا نشك ان شاه ايران لما اطلع علية في سياحاته وشاهده في اسفاره لا يأبى المبادرة اليه والسعي فيه · ان البادي بالعمل فى هذا المقصد الاسمى هو صاحب الفضل الاعظم بين المسلمين خصوصاً وبين العالم عموماً ويجني ثمرته في وقت قريب * كان الالمانيون يختلتفون في الدين المسيحي على نحو ما يختلف الايرانيون مع الافغانيين في مذاهب الديانة الاسلامية فلما كان لهذا الاختلاف الفرعى اثر في الوحدة السياسية ظهر الضعف في الامة الالمانية وكثرت عليها عاديات جيرانها

ولم يكن لها كلمة في سياسة اوربا وعند ما رجعوا الى انفسهم واخذوا بالاصول الجوهرية وراعوا الوحدة الوطنية في المصالح العامة ارجع الله اليهم من القوة والشوكة ما صاروا به حكام اوربا وبيدهم ميزان سياستها* رجاؤنا في الافاضل الكرام صاحب جريدة (فرهنك) الاصفهانية وصاحب جريدة « اطلاع » الطهرانية وسائر ارباب الجرائد الايرانية ان يوجهوا افكارهم الى هذا المطلب الرفيع ويجعلوا له محلاً فسيحاً في جرائدهم وينشروها في بلادهم وبلاد الافغان باللسان الفارسي وهو لسان الطائفتين وما هي الا ايام ثم نرى علائم النجاح ان شاء الله رب العالمين .

نكتة

عند ما كان الشيخ محمد عبده يحادث ارباب السياسة في لوندرا كان اغلبهم يقول له كثيراً ما سمعنا من الاجانب الذين ينتمون الى البلاد المصرية اخباراً متعلقة بها لكنا لا نحلها محل الاعتبار لما نعلم من بعدهم عن الشعب المصري الحقيقي اما انت فلكونك عريقاً في المصرية وعالماً من علماء المسلمين فنحب ان تبين افكارك وما تعلمه من احوال الاهالي المصريين وشؤن امرائهم واستعداداتهم وما يليقون له وما يليق بهم فانا نرى ذلك منك حاكياً عن حقيقة الامر فيهم وكاشفاً عن افكار اهالي مصر عموماً وقد اشار الى هذا المعنى جريدة البال مال كازيت الصادرة بتاريخ ٧ اوغسطس ١٨٨٣

باريس

يوم الخميس في ٦ ذي القعدة سنة ١٣٠١ و ٢٨ اوغسطس سنة ١٨٨٤

تنبهت افكار الدول الاوروبية في هذه الايام الى مايمسها من ايغال الانكليز في طمعهم وان ظفرهم في اعمالهم المشرقيه مما يخمد انفاس اوربا ويسد عليها ابواب التجارة ولو نجح الانكليز في سيرهم الى ما يطمحون اليه لم يبق موضع قدم للتجارة الاوربية فيضرب الفقر في غالب اقطار اوربا التي قوام معيشتها التجارة وان الدول لتعجز بعد هذا عن حاجاتها* هذا فزع الملت بدايته بنفوس الدول من صيحة الطبيعة وزاد عليه ماخدش خواطرها من الاهانات المتتابعة اللاحقة بها من غرور الانكليز* دولة انكلترا هي التي تركت الدول تائمر في الاستانة واستبدت باطلاق النيران عَلَى مدينة سكندرية · هذه الدولة هي التي دعت الدول العظام الى مؤتمر للمداولة في مسئلة مصر معترفة بحقوقهن فيها فلما لم يجبنها الى مطلبها الباطل صرفت نوابهن وانطلقت في اعمالها غير مبالية بهن وعزمت عَلَى ارسال اللورد نورثبورك والجنرال ولسلي في آن واحد الى مصر

هذا كله حرك خواطر الدول وصار من اعظم البواعث على اجتماع الامبراطرة الثلاث فى شهر سبتمبر كما انبأت الجرائد واكدت ان موضوع المداولة بينهم هذه المسئلة المهمة · لهذه المسئله كانت

مدينة وارزين دار ندوة سياسية وبها وجد البرنس بسمارك مجالاً واسعا للسياسة · تلاقي الكونت كالنوكي مع البرنس بسمارك وطالت مدة الاجتماع ولحق بهما موسيودي جيرس وزير دولة الروسية وكان البحث فيما الم بالدول بعد مؤتمر لوندرا ثم عقب ذلك سفر موسيو كورسيل سفير فرانسا في برلين الى وارزين لملاقاة بسمارك « وان اولت بعض الجرائد الانكليزية حركة هذا السفير بمقصد اخر » * فهذه الزيارات المتتالية بين هولاء الوزراء العظام بعد خيبة المؤتمر تفتح للمتامل باباً واسعاً من الفكر وتشف عن امور عظيمة سيكشفها الزمان عن قريب · هذا الى الامر الجديد الذي صدر من دولة المانيا وهو تعيين وزير في سفارة مبجلة لدى شاه فارس وفي اعضاء سفارته بروكش باشا المشهور بعلم الخط المصري القديم وهي اول مرة كان لهذه الدولة سفير عند الشاه ثم ذهاب ميرزاخان سفيراً خصوصيا من الدولة الفارسية الدولة الروسية ونيله غاية التبجيل والتكريم

كل هذا ينبئنا ان في كمين الغيب مصيبة كبرى ستنقض على دولة الانكليز · ان الاحقاد قد اخذت بقلوب الامم الاوروبية وامتلات الافئدة غيظا حتى طفحت ولهذا لاترى جريدة المانية او نمساوية او فرنساوية او روسية الا وهي مشحونة بالطعن والتنديد والوعيد والتهديد والانذار بسوء عاقبة حكومة الانكليز ليس ببعيد على عدل الله ان ينكس اعلام العاتين الذين يعيثون في الارض مفسدين و يسلبون ممالك العالم

غيلة و يهضمون حقوق الامم بغيا وعدوانا ويسيمونها عذاب الرق والعبودية عتوا واستكبارا * اظلم جو السياسة عَلَى سابلة الانكليز وزارت عليهم ضارية الويل من كل جانب ولهم في هذه الاهوال حركة الخابط اما سترا لضعفهم او غرورا ببأسهم ويتعلقون بحبال الوسائل لامتلاك مصر والسودان · اللورد نورثبروك وسميع الله خان الدهري يذهبان الى مصر لتأليف القلوب وجمع الخواطر على ولاء الحكومة الانكليزية وان ولسلي بعد ماناال من حسن الصيت بصرف الدنانير في التل الكبير عزم على ان يفتح فتحاً آخر بمثل تلك الوسيلة ولكنالانظن في السودان مثل شهيد الخيانة ابي سلطان باشا واضرابه · هذا ومن جهة اخرى يسعون لاجبار الحكومة المصرية عَلَى اعلان الافلاس واشهار العجز عن القيام بنفقات الحكومة ليجدوا في ذلك وسيلة لتقرير حمايتهم عَلَى القطر المصري وتخفيض فائدة الدين والاستبداد بشؤن المملكة · انهم في الحرب المصرية نالوا من الدولة العثمانية فرمانا سلطانيا بعصيان عرابي فحقنوا به دماء رجالهم وصانوا كثيراً من اموالهم واليوم يسعى اللورد دوفرين بمواعيده العرقوبية وايمانه الكاذبة عند الباب العالي ليحمله عَلَى ارسال عشر مدرعات الى سكندرية وسوق جيش الى سواحل البحر الاحمر ليكون هذا بدل الفرمان بعصيان محمد احمد ويفوز الانكليز بالتسلط عَلَى مصر والسودان ويحلفون وهم الكاذبون انهم لايمسون بحقوق السلطان « هل ابقوا حقوقاً تمس » حتى اذا ثبتت اقدامهم

تحت ظل العلم العثماني قلبوا للعثمانيين ظهر المجن واجابوهم بهز الرؤس وكشرة الانياب ولا نظن ان الدولة العثمانية تغتر بوعود الانكليز مرة ثانية فلا يلدغ المؤمن جحر مرتين وقد جربت منهم حلاوة الوعد وذاقت في اخلافه مضاضات الاهانة ومرارات التحقير *

نعم هذا وقت يتسنى فيه للدولة العثمانية ان تتفق مع سائر الدول لصون مصالحها ولا يخطرن ببال عثماني انه ينال خيراً بالاتفاق مع الانكليز · ان حكومة بريطانيا ما عاهدت عهد الا ونقضته بعد ما جنت ثمرته فربحها في العهود خاص بها لا يشركها فيه غيرها · لم يخف عَلَى الدولة العثمانية ان الانكليز تصرفوا في الاراضي المصرية تصرف المالكين بلا مشورتها · وهبوا قسماً عظيما من السودان الشرقي للحبشة واثاروا حرباً صليبية بين الحبشيين ومسلمي السودان · نزعوا الى الاستيلاء على زيلع وهرر وبربرة هل كان شيء من هذا باذن الباب العالي فعلى اي وجه تثق الدولة العثمانية بانكلترا بعد ما جربت من غدرها ما جربت ورأت من عدوانها ما رات · لو تساهلت الدولة مع الانكليز في مسئلة مصر فسنسمع عن قريب بامور في الحجاز وسوريا واليمن وبغداد وكلها من دسائس الانكليز · اما لو اقدم العثمانيون بعزيمة ثابتة واقبلوا عَلَى شانهم في مصر مع هيجان الافغانيين والهندبين وانفراد انكلترا عن سائر الدول لوجدوا لهم انصاراً من جميع المسلمين في الشرق ومن المصريين والسودانيين ولا رغموا الانكليز واسترجعوا

ما فقدوه من المكانة ايام حرب الروسية ولا عادوا عزتهم الاولى هكذا ينبغي ان يساق الجيش العثماني لصدمة الانكليز لا لخدمتهم فان لم تفعل الدولة العثمانية فعلى الدنيا العفا وعَلَى الاسلام السلام ·

وليعلم المصريون من الفلاحين والعرب ان الانكليز لا يقصدون الا استعبادهم واستخدامهم كما يستخدم الارقا واول نير للذل يوضع عَلَى اعناق امرائهم فعليهم ان لا يكونوا آلة في تمكين العدو من رقابهم وان لا يكون بعضهم نفخاً لصيد باقيهم · لعمر الله انا لفي عجب من الذين يحفظون القلاع في السودان ومن المصريين الذين يزحفون لمقاتلة السودانيين · هل يعلمون اي امة يخدمون بلى ان حامية كسالا حافظت عليها حتى تسلمها للحبشة وان حماة القلاع في السودان يحفظونها حتى يسلموها لقواد الانكليز ان استطاعوا * نعم كنا نحب ان نرى هذه الشهامة من العساكر المصرية لكن اذا لم يكونوا في تصرف دولة اجنبية اما اليوم فثباتهم هو العار بعينه والله لا اظن شخصاً في قلبه ذرة من الايمان تسمح له نفسه بهذا العمل · فان لم يسعوا في اخراج عدوهم من ديارهم والظن بهم ان يسعوا فلا اقل ان يكفوا عن مساعدته في تملكها · الا يعلم المصريون ان حركة خفيفة منهم في معارضة الانكليز في هذا الوقت تجلب مداخلة الدول وتكون سبباً لانقاذهم من هذا العدو الذي لا يكتفي باكل لحومهم حتى يهشم من عظامهم فليعلموا ذلك وليعملوا والله لا يضيع اجر العاملين ·

الدهريون في الهند

دخل الانكليز بلاد الهند ولعبوا بعقول امرائها وملوكها عَلَى نحو يضحك العقلاء ويبكيهم وكانوا يوغلون في احشاء الهند ويتخطفون اراضيه قطعة بعد قطعة وكلما سادوا في ارض ادلوا عَلَى سكانها واظهروا الضجر والسآمة من الاقامة فيهم قائلين ان الانكليز لا يشتغلون الا بالاعمال التجارية اما مقارفة الادارة والسياسة فليست من شؤنهم وانما يدعوهم الى احتمال اثقالها الشفقة عَلَى الملوك والامراء العاجزين عن سياسة ممالكهم ومتى قدر الامير او الملك عَلَى ضبط بلاده فلا يبقى انكليزي فيها لان لهم اشغالا مهمة اخرى تركوها لمحض المرحمة · سلب رجال الانكليز كل مالك ملكه بحجة ان العمل في الملك ثقيل على النفس متعب للفكر والبدن فالاولى لصاحب الملك ان يستريح وان يموت فقيراً ذليلا تخلصاً من عناء التدبير وينادون بانه متى سنحت الفرصة وجاء الوقت الذي لا يكون للاعمال المعاشية ولا المعادية تاثير على الابدان ولا عَلَى الافكار فانهم مستعدون لترك البلاد (يوم المحشر) · اليوم يقولون هذا الكلام بعينه في مصر ·

لما استقرت اقدامهم في الهند والقوا به عصاهم ومحيت اثار السلطنة التيمورية نظروا الى البلاد نظرة ثانية فوجدوا فيها خمسين مليوناً من المسلمين كل واحد منهم مجروح الفواد بزوال ملكهم العظيم وهم يتصلون

بملايين كثيرة من المسلمين شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً واحسوا ان المسلمين ما داموا على دينهم وما دام القرآن يتلى بينهم فمحال ان يخلصوا في الخضوع لسلطة اجنبي عنهم خصوصاً ان كان ذلك الاجنبي خطف الملك منهم بالخديعة والمكر تحت ستار المحبة والصداقة . فطفقوا يتشبثون بكل وسيلة لتوهين الاعتقاد الاسلامي وحملوا القسس والروساء الروحانين عَلَى كتب الكتب ونشر الرسائل محشوة بالطعن في الديانة الاسلامية مفعمة بالشتم والسباب لصاحب الشريعة (براه الله مما قالوا) فاتوا من هذا العمل الشنيع ما تنفر منه الطباع ولا يمكن معه لذي غيرة ان يقيم عَلَى ارض تنشر فيها تلك الكتب وان يسكن تحت سماء تشرق شمسها عَلَى مرتكبي ذلك الافك العظيم وما قصدهم بذلك الا توهين عقائد المسلمين وحملهم على التدين بمذهب الانكليز هذا من جهة . ومن جهة اخذوا في تضييق سبل المعيشة عَلَى المسلمين وتشديد الوطاة عليهم والاضرار بهم من كل وجه فضربوا على ايديهم في الاعمال العامة وسلبوا اوقاف المساجد والمدارس ونفوا علماءهم وعظماءهم الى جزائر « اند ومان » و « فلفلان » رجا ان تفيدهم هذه الوسيلة ان لم تفدهم الاولى في رد المسلمين عن دينهم باسقاطهم في اغوار الجهل بعقائدهم حتى يذهلوا عما فرضه الله عليهم . فلما خاب امل اولئك الحكام الجائرين في الوسيلة الاولى وطال عليهم الامد في الاستفادة من الثانية نزعوا الى تدبير اخر في ازالة الدين الاسلامي من ارض الهند او اضعافه لانهم

لا يخافون الا من المسلمين اصحاب ذلك الملك المنهوب والحق المسلوب فاتفق ان رجلاً اسمه احمد خان بهادور «لقب تعظيم في الهند» كان يحوم حول الانكليز لينال فائدة من لديهم فعرض نفسه عليهم وخطا بعض خطوات لخلع دينه والتدين بالمذهب الانكليزي وبدا سيره بكتابة كتاب يثبت فيه ان التوراة والانجيل ليسا محرفين ولا مبدلين لينال بذلك الزلفى عندهم ثم راجع نفسه فراى ان الانكليز لن يرضوا عنه حتى يقول اني نصراني وان هذا العمل الحقير لا يوتى عليه اجراً جزيلاً خصوصاً وقد اتى بمثل كتابه الوف من القسس والبطارقة وما امكنهم ان يحولوا من المسلمين عن الدين اشخاصاً معدودة فاخذ طريقا اخر في خدمة حكامه الانكليز بتفريق كلمة المسلمين وتبديد شملهم.

فظهر بمظهر الطبيعيين «الدهريين» ونادى بان لا وجود الا للطبيعة العمياء وليس لهذ الكون اله حكيم «ان هذا الا الضلال المبين» وان جميع الانبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالاله الذي جاءت به الشرائع «نعوذ بالله» ولقب نفسه بالنيجري «الطبيعي» واخذ يغري ابناء الاغنياء من الشبان الطائشين فمال اليه اشخاص منهم تملصا من قيود الشرع الشريف وسعيا خلف الشهوات البهيمية فراق لحكام الانكليز مشربه وراوا فيه خير وسيلة لافساد قلوب المسلمين فاخذوا في تعزيزه وتكريمه وساعدوه على بناء مدرسة في «علي كده» وسموها مدرسة المحمديين لتكون فخا يصيدون به ابناء المؤمنين ليربوهم على

افكار هذا الرجل « احمد خان بهادور » · كتب احمد خان تفسيراً عَلَى القرآن فحرف الكلم عن مواضعه وبدل ماانزل الله وانشا جريدة باسم تهذيب الاخلاق لاينشر فيها الا مايضلل عقول المسلمين ويوقع الشقاق بينهم ويلقي العداوة بين مسلمي الهند وغيرهم خصوصاً بينهم وبين العثمانيين وجهر بالدعوة لخلع الاديان كافة « لكن لايدعو الا المسلمين » وناى الطبيعةالطبيعة ليوسوس للناس بأن اوربا ما تقدمت في المدنية وما ارتقت في العلم و الصنعة وما فاقت فى القوة والاقتدار الا برفض الاديان والرجوع الى الغرض المقصود من كل دين«علَى زعمه» وهو بيان مسالك الطبيعة « قد افترى عَلَى الله كذبا » ولما كنا في الهند احسنا من بعض ضعفاء العقول اغتراراً بترهات هذا الرجل وتلامذته فكتبنا رسالة في بيان مذهبهم الفاسد وما ينشا عنه من المفاسد واثبتنا ان الدين اساس المدنية وقوام العمران وطبعت رسالتنا في اللغتين الهندية والفارسية · احمد خان ومن تبعه خلعوا لباس الدين وجهروا بالدعوة الى خلعه ابتغاء الفتنة بالمسلمين وطلبا لتفريق كلمتهم وزادوا عَلَى زيغهم انهم يزرعون الشقاق بين اهل الهند وسائر المسلمين وكتبوا عدة كتب في معارضة الخلافة الاسلامية · هولاء الدهريون ليسوا كالدهريين في اوربا فان من ترك الدين في البلاد الغربية تبقى عنده محبة اوطانه ولا تنقص حميته لحفظ بلاده من عاديات الاجانب ويبذل في ترقيتها والمدافعة عنها نفائس امواله ويفدي مصلحتها بروحه اما احمد خان

واصحابه فانهم كما يدعون الناس لنبذ الدين يهونون عليهم مصالح اوطانهم و يسهلون عَلَى النفوس تحكم الاجنبي فيها و يجهدون في محو اثار الغيرة الدينية والجنسيه و ينقبون عَلَى المصالح الوطنية التي ربما غفل الانكليز عر سلبها لينبهوا الحكومة عليها فلا تدعها · يفعلون هذا لالاجرجزيل ولا شرف رفيع ولكن لعيش دني ونفع زهيد · (هكذا الابدان يمتاز دهري الشرق عن دهري الغرب بالخسة والدنائة بعد الكفر والزندقة)·

احسن الانكليز الى احمد خان بتوظيف ولده مولوى محمود عضوا في مجلس قرية من قرى الهند لاتزيد عن (شبراخيت) في مدرية البحيرة · ومن حبائله لصيد الضعفا من المسلمين انه يعدهم ويمنيهم بانهم لو تبعوه لادخلهم في وظائف الحكومة بما له من الجاه عند جائرة الانكليز حكومة الانكليز لم توظف من اصحابه الا اربعة اشخاص اعضاء في مجالس القرى ولا يوجد وطني هندي في مثل هذه الوظائف سواهم · هذا هو المجد الذي ناله احمد خان ثمنا لدينه ووطنه فهو كما قال صديق نواب حسن خان ملك بهوبال صاحب التصانيف المشهورة انه (احمد خان) دجال اخر الزمان · نعم ساعده حكام الانكليز على استخدام بعض من يقدمهم لكن لافي الحكومة الانكليزية الهندية ولا عَلَى الخزينة الانكليزية وانما يلزم الحاكم احد النوابين الباقين عَلَى صورة استقلالهم ان يوظفوهم في بعض الوظائف الدانية ·

راق هذا المشرب في اعين الحكام الانكليز وابتهجوا به وظنوه

موصلاً الى غايتهم من محو الدين الاسلامي من البلاد الهندية · هولاء الدهريون صاروا جيشا للحكومة الانكليزية في الهند يسلون سيوفهم لقطع رقاب المسلمين لكن مع البكاء عليهم والصياح بهم انا لانقتلكم الا شفقة عليكم ورحمة بكم وطلباً لاصلاحكم ورفاهة عيشكم وراى الانكليز ان هذه اقرب الوسائل لنيل المقصود من ضعف الاسلام والمسلمين ·

كان التلميذ الارشد لأحمد خان والوزير الاول والمدبر له في جميع شؤنه رجلا اسمه سميع الله خان

سميع الله خان

هو اعظم الدهريين دهاء واشدهم اجتهاداً في تضليل المسلمين وادقهم حيلة واقواهم مكراً في ايجاد الوسائل لتفريق شمل المؤمنين وتمكين الحكومة الانكليزية في ارض الهند · يقوم هذا الخادع خطيباً في محافل المسلمين فتسبق دموعه كلامه ويأتي بغاية ماعنده من الفصاحة لهدم اركان الديانة الاسلامية وابطال عقائدها الاصلية ويتجرأ على حضرة الالوهية ويطعن في الرسالة وصاحبها كل ذلك وهو ينتحب كانما يرثي الدين واهله ·

اذا دخل في بلد من البلدان لاداء هذه الخدمة واظب ايامًا على دخول المساجد وحضور المحافل الدينية واستدرج الناس بعذب الكلام

ولطف الوعد وجذبهم اليه من حيث لا يشعرون فاذا اجتمع عليه بعض من الناس اغتراراً بطلاوة ظاهره بدا في دعوتهم الى مشربه الكدر «خلع الدين»

هذا العدو المبين للاسلام والمسلمين قد نال بمساعيه هذه وظيفة قاض «في الشريعة الانكليزية» في بلدة «اكره» وهي بلدة لا تزيد عن دسوق في مديرية الغربية. قالت جريدة التيمس بعد مامدحت سميع الله خان بكل مايمكن ان يمدح به ان هذه الوظيفة (قاض في بلد صغير) هي اعلى وظيفة ينالها هندي وطني «ايحتاج لاثبات العدالة الانكليزية الى شاهد اكبر من هذا».

نورثبروك اللورد الانكليزي الذي اشرنا الى طرف من تاريخه في الهند في العدد الماضي عرف سميع الله خان حق المعرفة عندما كان حكمداراً في الهند ووقف على انه اصدق الناس في خدمة الانكليز واقدرهم على ادائها. ولهذا طلبه ذلك اللورد ليكون كاتب سره في مصر ليستعمله في تنفير المصريين من الدولة العثمانية وفي اقناع المصريين بان حكومة انكلترا تريد بهم خيراً ويستخدمه في استمالة قلوب العلماء لانه واحد منهم «على دعواه» وقد يكون من نيته ان يدخل الجوامع ويعظ ويخطب ويروي عن عدل الانكليز مالا صحة له وما تكذبه المشاهدة ولكن رجاؤنا في نباهة المصريين وصدق عقائدهم الدينية وشدة ارتباطهم بالدولة العثمانية ان لا ينخدعوا لهذا الراكس الهندي (الراكس بلسان السنسكريت الشيطان المريد) لا نجح الله له مقصدا ولا اناله مبتغى

الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين

من الناس بل اغلب الناس من يقول آمنا . وللايمان اثار . ثم يحسبون ان الله يتركهم وما يقولون ويدعهم وما يتوهمون ويعاملهم سبحانه وهو الحكم العدل بما يظنون في انفسهم قبل ان يبتليهم ايهم احسن عملاً حتى تظهر انفسهم لانفسهم ويعلموا هل هم حقيقة مومنون او هذه دعوى سولتها النفس وغرت بها الاماني وانهم تائهون في اوهامهم يحسبون انهم على شيء وهم خلو من كل شيء ولما يدخل الايمان في قلوبهم . الا انهم في حسبانهم لمخطئون فلن يدع الله المغرور في غيه حتى يبتليه في دعوى الايمان ليعلم الله الذين جاهدوا ويعلم الصابرين ولئلا نكون للناس عَلَى الله حجة . حاشا حكيما انزل الكتب وارسل الرسل ووعد واوعد وبشر وانذر وقوله الصدق ووعده الحق ان يجازي من بنى عقيدته عَلَى خيال ليس له اثر وظن ليس له اساس بالسعادة السرمدية والنعيم الابدي . ان المغتر بزعمه الحائر في ظلمات اوهامه الذي لايسهل عليه الايمان احتمال المشاق وتجشم المصاعب في سبيله ليس بمعزل عن المنافقين الذين حكم الله عليهم بالشقاء الابدي والعذاب المخلد . الايمان يغلب كل هوى ويقهر كل امنية ويدفع بالنفس الى طلب مرضاة الله

بلا سائق ولا قائد سواه. يقول الله وهو اصدق القائلين*لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * هذا قضاء الله وهذا حكمه على الذين يستاذنون في بذل ارواحهم واموالهم في اداء فريضة الايمان. حكم عليهم بانهم لا يومنون.

صدق الله وصدقت كتبه ورسله ان للعقائد الراسخة اثارا تظهر في العزائم والاعمال وتاثيراً في الافكار والارادات لا يمكن للمعتقدين ان يزيحوها عن انفسهم ما داموا معتقدين هكذا الايمان في جميع شونه واطواره له خواص لا تفارقه ونزعات لا تزايله وصفات جليلة لا تنفك عنه وخلائق عالية سامية لا تبائنه * بها كان يمتاز المومنون في الصدر الاول وكان يعترف بمزيتهم وعلو منزلتهم من كان يجحد عقيدتهم . نعم هم الذين صبروا في نيران امتحان الله وابتلائه حتى ظهر ايمانهم ذهباً ابريزاً صافياً من كل غش واعد الله لهم جزاء على صبرهم نعيما مقيما * ما اصعب ابتلاء الله وما اشد فتنته وما ادق حكمته في ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب .

نعم ان دون ابتلاء الله خلع العادات وتحمل الصعوبات وبذل الاموال وبيع الارواح . كل خطر فهو تهلكة ينبغي البعد عنها الا في الايمان فكل تهلكة فيه فهي نجاة وكل موت في المحاماة عن الايمان

فهو بقاء ابدي وكل شقاء في اداء حقوق الايمان فهو سعادة سرمدية. المومن يبذل ماله فيما يقتضيه ايمانه ولا يخشى الفقر وان كان الشيطان يعده الفقر . ليس في النفقة لاداء حق الايمان تبذير ولو اتت على كل ما في ايدي المومنين . ان للمومن حياة وراء هذه الحياة وان له لذة وراء لذاتها وان له سعادة غير ما يزينه الشيطان من سعاداتها * هكذا يرى المومن ان كان الايمان مس قلبه ولو لم يبلغ الغاية من كماله. ان الفرار من محنة الله في الايمان مجلبة للخزي الابدي . ان الفرار من صدمة جيش الضلال وان بلغت اقصى ما يتصور موجب للشقاء السرمدي . لا سعادة الا بالدين ودون حفظ الدين تطايرَ الاعناق . ان للايمان تكاليف شاقة وفرائض صعبة الاداء الا على الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى . ان القيام بفرائض الايمان محفوف بالمخاطر مكتنف بالمكاره كيف لا واول ما يوجبه الايمان خروج الانسان عن نفسه وماله وشهواته ووضع جميع ذلك تحت اوامر ربه . لن يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون الله ورسوله احب اليه من نفسه . اول احساس يلم بنفس المؤمن انه في هذه الدنيا عابر سبيل الى دار اخرى خير من هذه الحياة وابقى واول خطوة يخطوها المؤمن بذل روحه اذ دعاه داعي الايمان ولا داعي ارفع صوتاً وابين حجة من نداء الحق على لسان انبيائه . لايقبل الله في صيانة الايمان عذراً ولا تعلة مادامت الرجل تمشي والعين تنظر واليد تعمل . ان امتحان الله للمؤمنين سنة من سننه

يميز بها الصادقين من المنافقين قرناً بعد قرن الى ان تنقضي الدنيا · في كل قرن يدعو الله المومنين الى قوم اولى باس شديد فان يطيعوا يؤتهم الله اجراً حسنا وان يتولوا يعذبهم عذاباً اليماً · فميزان عدل الله منصوب الى يوم القيامة وهنالك الجزاء الاوفى فلا يحسبن الواسمون انفسهم بسمة الايمان القانعون منه برسم يلوح في مخيلاتهم ان عدل الله يتركهم وما يظنون كلا انهم في كل عام يفتنون فلينظر المفرطون في دينهم ضنا باموالهم او صوناً لارواحهم ماذا يكون موقعهم من علم الله هل من الذين صدقوا او من الكاذبين ارشد الله المؤمنين الى وسائل خيرهم وبصرهم بعاقبة امرهم ·

جريدة الاهرام

اشتد عليها غضب نوبار باشا فاصدر امره بتعطيلها شهراً وقفل مطبعتها · قيل في السبب انه نشر رسائل مدير الجريدة وهو في لوندرا على ما فيها من بيان بعض مساوي السياسة الانكليزية عَلَى خلاف رغبة سعادة الباشا · وقيل ان السبب نشر التشكر الذي قدم الى المدير والمحرر من اعيان البلاد دلالة عَلَى استحسان مشرب الجريدة (استقباح سياسة الانكليز) · ولكن كتب الينا من مصدر خاص ان هذه المسائل العمومية لا تهم نوبار باشا الا اذا مست مصلحته الخاصة فالسبب الحقيقي هو ان المنهج المستقيم الذي سلكته الاهرام دعا الى ذكر بعض الرجال

الوطنيين مثل رياض باشا وشريف باشا مع وصفهما بالوطنيـة وعلو الهمه وكمال الغيرة · نوبار باشا ساع الى امر مهم وهو ما ذكرناه في العدد السابق ونشرته بعدنا جريدة الدبا وسائر الجرائد الانكليزية · ان يكون ولي القاصر (عباس) بعد خلع ابيه فينال بسطة في السلطة واطلاقاً في الامر والنهي وعلم ان هذا وقت الفرصة لحرص الحكومة الانكليزية على تملك مصر وهي محتاجة في ذلك الى كل من ليس له وطن ولا دين ولا جنس في مصر فهي في شدة الاحتياج لنوبار باشا · وتوفيق باشا قبة جوفاء لا يرجع منها الا صدى الاصوات ان قلت لا فلا او قلت نعم فنعم فهو في غضبه ورضاه تابع لما يلقى اليه فعلم نوبار باشا ان خديوياً مثل هذا يمكن ان يكون واسطة في تمكين الانكليز من مصر من حيث لا يشعر وبتقديم هذه الخدمة لم يبني لنفسه من العزة قصراً شاهقاً ·

فكيف يطيب لنوبار باشا مع هذا السعي ان يسمع ذكر رياض باشا وشريف باشا مع وصفي الوطنية وعلو الهمة · يخاف ان الاكثار من ذكر هولاء الرجال ربما يحرك الخواطر الوطنية فيندفع منها سيل يهدم كل ما بينيه · ان صاحب الاهرام اكثر من ذكر الوطن والوطنيين ونوبار باشا ابعد الناس عنهما لهذا اغضبه ذكرهما · كلما ذكر لفظ الوطن او الملة او الجنس او الامة سوا كان في مقال عام او في جانب شخص خاص حسب نوبار باشا ان في الكلام تهكمـا به واستهزاء · ولا عجب من نوبار باشا ان ظن ماظن او فعل مـا فعل فالرجل ليس

بمصري ولا عربي ولا ... صر بابخس الاثمان فهو الرابح
لاخسر ملة ولا وطنا

قيل ان نوبار : ... بيرباشا من مصر فان نال
مطلبه لم يبعد ان يطلـ ... ـا وكل ذي شهامة
او فكر في مصر مثل مـ ... ـرية حكومة
هندية وهل يبعد مثل هذا على ... ان الذي
يؤيد ماروى لنا في سبب قفل الاهـ ... ـتحرك لحجز
العروة الوثقى عن دخول مصر الا عند ماذ ر في رياض باشا مع ذكر بعض اوصافه والا فان كان السبب ذكر الاسلام والمسلمين فيها فذلك ينذرنا بقفل الازهر بامر نوبار باشا .

اني اتعجب وكل ذي احساس يتعجب من سكان الديار المصرية من المصريين والاتراك والحجازيين واليمانيين . الا يوجد بين هولاء فتى يشمر عن ساعده ويتقدم بصدره ويخطو خطوة الى هذا الوزير الارمني فيبطل هذه الصفقة وينقض هذه البيعة ويكشف له وللمغرورين من امثاله حقيقة الوطنية و يرفع الحجاب عن واجبات الملية لاحول ولا قوة الا بالله . ان المولعين بحب الحياة يقضونها من خوف الذل في الذل ويعيشون من خوف العبودية في العبودية ويتجرعون مرارات سكرات الموت في كل لحظة خوفاً من الموت . لا الدين يسوقهم الى مرضاة الله ولا الحمية الوطنية تدفعهم الى مابه فخار بنى الانسان .

لاهور

وصل الينا رقيم من لاه رجاءونا ان تكون
المكاتبة فيما بعد باللغة ملخصه قال الكاتب ·
انا نسمع صاحب حورية ينادي من صميم
قلبه بان الانكليز سَلا د كلامه في الانتقاد عَلَى العروة
الوثقى ومن غريب كلامه ن غرض العروة ان تفصم رابطة
الاتحاد بين الرعايا الهندبين وسلاطينهم الانكليز · ولا يخجل من قوله
ان سلاطيننا الانكليز هم الذين زينوا الهند باصلاح طرقه ومد السكك
الحديدية في انحائه ووصل ارجائه باسلاك التلغراف · كانما الانكليز
من سلالة بكر (ماجيت) او من جنس (الجهتري) او من احفاد
(اكبرشاه الهندي) واذا سمع سامع صوت هذه الجريدة عَلَى بعد يظن
ان هذه الاعمال التي زينوا بها الهند (على رأي الجريدة) ماقام بها
الانكليز الا لمنفعة الهندبين ويتوهم ان الهندبين جنوا من ثمرتها شيا وان
ضجر الهندبين من سلطة الانكليز ونزوعهم الى التملص منها انما هو من
كفران النعمة ياعجبا من هذا البندت اللاهوري انه يرى فقر ابناء
وطنه ومسكنتهم ويشهد بعينه انهم لايجدون مابه معيشتهم اليومية
وان اسعد الناس منهم من يحصل عشر روبيات في الشهر بعد ان
يبلغ درجة عالية من الكمال ومن جملتهم نفس صاحب الجريدة ·

فكيف يطيل لسانه بشكر هذه الخدمة ويضع عَلَى ظهور الهنديين حملا ثقيلا من المنة لمد سكك الحديدي وخطوط التلغراف . ان كانت حكومة الانكليز تسوس الهند بالعدل فاين ذهبت ثروة اهاليه مع خصب الارض ووفرة الثمرات ولاي سبب ابتلى الناس بالفقر حتى لايجدون قوتاً ان الجرائد الانكليزية في الهند تنذر حكومتها بانه لو استمرت الادارة الهندية عَلَى حالها هذا فلا يمضى عشر سنوات الا وتكون فتنة عمومية تاخذ بجميع اطراف الهند ويكون منشاوهـا الجوع . اذا انشات الحكومة الانكليزية سكك الحديد لنقل بضـائع الانكليز وترويج تجاراتهم وحمل العساكر لقتل ابناء البلاد وليس عند الهنود الان مايباع ويشترى حتي يستفيدوا من سهولة نقله فلاي شي تكون المنة على الهنود واذا مدت خطوط التلغراف لاستطلاع مايجري في ممالكها وتسهيل المخابرة بين رجالها فأي منفعة في هذا توجب مسرة الهنود .

ان رجال الانكليز بعد مادخلوا البلاد عَلَى هيئة تجـار وكانوا يخضعون للصغير والكبير ازيد من قرن بلغ من امرهم الان ان لايعدوا الهنود من فصيلة الانسان . اذا اراد حكام الانكليز ان يجمعوا اعيان البلاد لالزامهم باداء ضريبة جديدة هيوا مكانا عليا يرتفع عن الارض نحو ثلاثة اذرع لتوضع عليه كراسي السادات الانكليز ويجلس الهنود في منخفض من الارض اظهارا للامتياز مع انهم ماجمعوهم الا لسلخ مابقي من جلودهم وامتصاص ثملة دمائهم . اي امة متوحشة اومتمدنة

تعامل امة اخرى بهذه المعاملة .ف بالله ان جنس الهندو (قوم برهما) حين ماقدموا من ايران وفتحوا الهند ماعاملوا السكنة القدماء بهذه المعاملة مع انهم كانوا يعتقدون انفسهم سماويين وما اذلوا جنس (الباريا) بهذه الدرجة مع انهم كانوا يزعمون انهم ابناء الالهة . قبلوا جنس (التلنكان) في مصافهم واشركوه في حقوقهم مع كونه مغلوبا لهم فتح المسلمون ارض الهند فعاملوا الوثنيين كمعاملتهم لبني ملتهم وما حرموهم من الوظائف السامية وما من سلطان مسلم تسلط في الهند الا كان له من الوثنيين عمال ووزراء . كان المسلمون يسيرون مع الوثنيين سيرة الاخوة حتى اوقع الانكليز بينهم الشقاق في بنجاب واطراف مدراس . يزعم الانكليز ان المسلمين اولو تعصب ديني يجور بهم عن العدل مع انا نرى الى الان في الهند حكومات صغيرة يحكمها راجوات ونوابون من اهل السنة والشيعة ونرى للراجا الوثني وزيراً مسلماً وعمالاً مسلمين وللنواب المسلم وزيرا وثنيا وعمالاً وثنيين وهكذا السنيون مع الشيعة والشيعيون مع اهل السنة ولا نرى في الملايين الكثيرة المحكومة بالانكليز رجلاً هنديا في وظيفة شريفة . ان هذا البندت (صاحب اخبار عام) لايخجل من قوله ان الانكليز سلاطيننا اي سلطان يستنكف من شرف رعيته ويعدهم في عداد البهم .

ان اللورد ريبون لما صار حاكماً على الهند وراى ان الروسية وصلت الى مرو واحس بنفرة الهنود من الحكومة الانكليزية واستعدادهم

للثورة اراد ان يطيب قلوبهم بامر حقير يسخر منه الابله فضلاً عن الحكيم وهو توظيف (رام جندر متر) ومولوي محمود بن احمد خان في وظيفة القضاء ببلدصة غيرة وهما ممن تعلم الشريعة الانكليزية في بلاد الانكليز (انظر كيف يطيب قلب امة عظيمة مجروحة الافئدة ساقطة في جحيم الشقاء بمثل هذه المنحة المضحكة) وهذا الالتفات من اللورد لكمال سياسته وحذقه . فماذا يكون موقع الهنود من نظره اذا كان يظن ان الامم العظيمة المحترقة بنيران الظلم من ازمان تعترف بعدالة الانكليز لمجرد توظيف شخصين في وظيفة صغيرة .

ان هذا مما عده اللورد الانكليزي امراً لازماً لصون سياسته مما عساه يطرأ عليها ومع ذلك قام الانكليز في الهند ورفعوا شكواهم الى لوندرا من تصرف اللورد ولا يزالون يرفعون ويقولون كيف يجلس (كالا) اي الهندي الاسود عَلَى منصة القضاء وربما ياتي وقت تقام فيه الدعوى بين يديه على انكليزي فيصدر الحكم منه عليه (كيف يصدر الحكم من هندي عَلَى انكليزي) . فليعتبر من يعتبر . ان الانكليز لا تسمح نفوسهم ان يعترفوا بانسانية الهندي ولو للضرورة ايجب البندت اللاهوري ان يلقي غشاوة الغش عَلَى عينيه واعين اخوانه ويفترى الكذب بقوله ان بين الهنديين وحكومتهم نوعاً من الالتئام . وهل مثل هذه الحكومة يلتئم معها ذو احساس . ان البندت يقول في جريدته وفي اثناء انتقاده عَلَى العروة ان سلالة الامراء وابناء العائلة

التيمورية (ملوك الهند) عراة في الاسواق يتضورون جوعاً ولا يجدون خصاً يأوون اليه · فان كان هـذا حال الامراء باعترافه فكيف يكون حال سواهم وكيف طرعت له نفسه ان ينطق بكلمة تشعر بالرضاء عن حكومة الانكليز · انه يتملق للحكام ولكن لا اظنـه ينال على هذا التملق اكثر من عشر روبيات في الشهر فليس له ان يتعب لسانه ويجهد نفسه مجاناً · لا ينكر البندت ان الانكليز اذا خاطبوا هندياً لا يكلمونه الا بالعصا واذا عدى انكليزي على هندي فقتله حكم اطباء الانكليز بان القتيل مات بالسل المزمن او داء الكبـد او بمرض عياء ورثه عن ابائه كيلا يقاص انكليزي بدم هندي * فيذهب دم الهندي هـدراً * ان ظلم الانكليز وجورهم يظهر لكل ناظر من صفحة تلك الورقـة الصغيرة (اخبار عام) واني اقول بلسان كل هندي وثنياً او مسلماً سنياً اوشيعياً ان البندت لا يمكنه بورقته هـذه ان يقطب جروح الهنديين ولا ان يطفي لهيب احشائهم مما يرونه كل يوم من سلب الاملاك واهانة الاديان وتضييع الحقوق وحرمان الاهالى من خدمة اوطانهم وليس في طاقة قلمه ان يرفع شيئاً من الواقع ولا ان يحدث خاطر محبة الانكليز في قلب هندي الا من خربت ذمته ومرق من عهود دينه ووطنه · وان البندت يعرف هذا ولكنه يسعى لعله يحصل شيئاً زهيداً ويقنع به لان بعضاً منا وكثيراً من الشرقيين صارت حوصلتهم كحوصلة العصفور يملاؤها حبتان من الحنطة وسنكتب اليكم عن تفصيل الاعمال

الانكليزية عندنا ان شاء الله اه

ومن يضلل الله فما له من هاد

يوجد بين بني البشر نفوس لم يرضها الاسلام ولم تقنع بالكفر تتلون تلون الحرباء وتتشكل تشكل الاغوال وتتقلب تقلب الدهر الخؤون لا ترضى بحال ولا تنسج على منوال يضحكون وقت البكاء ويمرحون عند اشتداد اللاواء ويكون لاوقات المسرة ويضجرون لسعة الرحمة مثلهم كمثل الحسك المثلث الاضلاع كله شوك حيثما قلبته تراهم في النهار مسلمين متقلبين بين مذاهب الاسلام يصبحون سنيين ويقيلون شيعيين ويقضون طرف اليوم وهابيين فاذا جن الليل رأيتهم دهريين اباحيين اولئك الذين غضب الله عليهم ويلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون · منهم اناس من ارباب الجرائد الساقطة في الهند يريدون ان يتزلفوا للحكومة الهندية الانكليزية بما فيه مضرة اوطانهم وابناء الملة التي ولدوا فيها لينالوا من ظالميهم جائزة ما او ليكون لهم في دوائرهم اسم ما فاخذوا يؤولون بعض فصول العروة الوثقى ويحولونها عن وجهتها جهلا او عناداً ولوماً ويحرفون الكلم عن مواضعه على حسب اهوائهم الخسيسة وطباعهم الخبيثة قاتلهم الله انى يوفكون · اولئك قوم عرفناهم وليس لهم بين قومهم شان يعرفون به فليس يهمنا امرهم · وانا نقدم الشكر للجرائد المهمة الهندية الناهجة في خدمة اوطانهم منهج الحق السالكة جادة

الاعتدال عَلَى ما تعني بـه من ترجمة فصول العروة الوثقى الى اللسان الهندي تعميماً للفائده في ابناء اوطانها جزاها الله عن المسلمين خيراً

فرنسا والمانيا

جزمت جريدة نفيل بريس ليبران الباعث عَلَى سفر البارون كورسل (سفير فرانسا في برلين) الى وارزين هو اهم امر سياسي وفي ظنها ان الحديث بينه وبين البرنس بسمارك انتقل الى موضوع الحرب الصيني ومسئلة الكونكو . قالت الجريدة ان بسمارك قد غير منهجه السياسي الذي قد سلكه من سنة ١٨٧٠ . كان مضطراً لابعاد فرنسا عن سائر الدول واليوم وجه عزيمته لابعاد انكلترا . ولما اجتمع الامبراطرة الثلاث في سنة ٧٢ اضطربت خواطر الفرنساويين وكان كل منهم يحدث نفسه هل ينتظر اتفاق بين الامبراطرة عَلَى مناواة الجمهورية . اما اذا اجتمعوا في هذا العام فلا يخالط الريب قلب فرنساوي بل تكون النفوس ساكنة مطمئنة . لا يوجد في دولة اوربية مايوجب حدوث قلق في باريس ولا بوجه ما . بل يوجد ما يثبت الطمانينة فان من نية الاستاذ (بسمارك) في وارزين ان يقرب فرانسا الى سائر الدول البرية وان زيارة البارون كورسل للبرنس تعد اكبر شاهد على مانقول اهـ .

باريس

يوم الخميس في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٠١ و ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٤

مالحكومة المصرية لاهية عن شانها · ماذا تبتغي من سكونها وميلها مع ريح الحكومة الانكليزية · ماذا تنتظر الدولة العثمانية بعد انحلال المؤتمر على غير طائل · اتظن الحكومة المصرية ان خضوعها لاوامر بريطانيا واهتمامها بخدمة عساكرها الزاحفة الى السودان مما يوجب الخجل لحكومة الانكليز فتستحي بعد ذلك ان تكفر نعمة الصداقة وترعى سابقة الخدمة فتترك مصر نقية الراحة بريئة الذمة وتمكن الامر للحكومة المصرية وتشيد الخديوية لتوفيق باشا · ان خطر هذا الوهم يبال الحكام في مصر فقد خرفوا فليس يحوم مثل هذا الهاجس في فكر الا وقد مسه الخبل ولا يختلج في صدر حتى يختم عليه بطابع العمي ·

حكومة بريطانيا انتحلت بنفسها اسبابا للدخول في وادي النيل وانشات له عللا فغايتها من كل اعمالها ان تكون لها سلطة ممتازة فيه سواء تأيد توفيق باشا اوتاود · لما احس رجالها ان بحث المؤتمر ربما ينجر الى ما يمس غايتهم هذه تملصوا منه واستبدوا باعمالهم واخذوا على انفسهم تسكين عاصفة الثورة السودانية · فان تم لهم ما ارادوا واستقلوا بالعمل في السودان فهل يرجى منهم ان يخلوا مصر بعد ما فتحوا من

ورائها مافتحوا · ان هذا الاخيال باطل · هل تهورت انكلترا واغاظت جميع الدول العظام وهيات نفسهـا خطر تالبهم عليها حبا في توفيق باشا ورغبة في حفظ مسنده · هذا مما لايعقل · ربما تكون الدولة العثمانية والحكومة المصرية في رجاء ان الدول الاوربية يستفزها الغضب فتندفع بقواها على دولة الانكليز فتكبلها في سياستها وتلجئها للجلاء عن مصر فتتركها لاهلها وكفى الله المؤمنين القتال · ان كان ذلك سبب الفترة فهو ثقة في غير محلها ونوع من الطمع غريب · قد يكون اتفاق الدول عَلَى معاكسة الانكليز متعلقاً بجهات اخر ولا يكون اخلاء مصر من مواضيع الاتفاق كما اشار اليه كثير من الجرائد حيث ذكرت ان من المقاصد التي يجتمع لها القياصرة الثلاثة كف الروسية عن مطامعها في اوربا واطلاق العنان لها في اسيا والاقطار الهندية · اليس من الممكن ان مناواة الدول للانكليز تنتهي بسلب جزء او اجزاء من اراضي المسلمين في مقابلة تمكن الانكليز في ارض مصر · نبهت بعض الجرائد المهمة عَلَى شيء من هذا وصرحت بما لاينطلق اللسان بذكره · ان للدول اهتماما بنكاية الانكليز ومن اعظم البواعث على اجتماع القياصرة خروج انكلترا عن حدها في الاستئثار بالمنفعة عَلَى غيرها لكن اليس من الواجب على صاحب البيت ان يبدا بعمل في الذود عن بيته قبل ان يساعده الجيران خصوصاً ان كان للجيران اطماع متنوعه بعضها يمنع عن المساعده وبعضها يحمل على التواني وتأجيل العمل لاوقات اخر

وما يدرينا لوحولنا الامر الى الجار لينقذ المغصوب من يدالغاصب لعله بعد استخلاصه يختص به نفسه فما الذي جنيناه من ثمار مساعيه وايـة فائدة حصلناها · لو شحت الحكومة المصرية بحياتها وابصرت ان بقاءها في ابائها وترفعت عن هذا الخضوع البارد وتجافت عن تسهيل الطرق وتمهيد السبل لمسير العساكر الانكليزية ثم قامت الدولة العثمانية عَلَى المطالبة بحقوقها وذهبت في الطلب مذهب العمل ولم تكتف بلوائح تسطر وحجج تنشر ولم تستند عَلَى سفرائها الذين ليس لهم خوض حقيقي الا في ملاذهم وشهواتهم لو كان كل هذا لشاركت الدولة العثمانية ومعها حكومة مصر سائر الدول في معاكسة انكلترا · وحيث ان للدولة العثمانية والحكومة المصرية الحق الاول والملكية الشرعية في تلك الاقطار فما يكون منهما من الاعمال يكسبهما تخليص البلاد فان الدول تكون في عونهما ولا حق لواحدة منها فيما بعد ان تستأثر عليهما ·

ان اقدام الدولة على العمل وعدول الحكومة المصرية عن مسلكها المضر بها مما يقرب المسافة ويقصر المدة ويقوي حجة الدول في مطاردة انكلترا * لو تساهلت الدولة العثمانية واطمأنت الحكومة المصرية لحالتها الحاضرة فباي وجه تومل الحكومتان نفعا من معارضة الدول عَلَى فرض لو استخلصت مصر من ايدي الانكليز * ماذا يبعث الدول على مقارعة دولة عظيمة كدولة بريطانيا لتسلبها ملكا عظيما ثم تسلمه للدولة العثمانية او الحكومة المصرية · لانتحاشى ان نقول ان الدولة العثمانية والحكومة

المصرية واقعتان بين خطرين عظيمين · ان فاز الانكليز في السودان فقد ضاع القطر المصري واستقرت فيه السلطة لحكومة انكلترا سواء عارضت الدول ام لم تعارض وضياع القطر المصري هو ضياع الكل كما اشرنا اليه مراراً وكما يشهد به موقع البلاد المصرية من سائر بلاد المسلمين وان خاب الانكليز في منازلة الثائرين فليس يخفى عَلَى عقل عاقل مايترتب على هذه الخيبة وما ينشا عن غلبة محمد احمد واتباعه وانهزام العساكر الانكليزية · وربما كان هذا الامر الثاني سبباً لمداخلات اجنبية في جميع اقطارنا ·

ليس من الصعب عَلَى الدلة العثمانية ولا عَلَى الحكومة المصرية ان تظهرا شيا من الشدة وتأخذا بجانب من القوة وتقفا على قدم الثبات ودولة انكلترا في اختباط مع الدول وارتباك بالسودان والمسلمون من جميع الاقطار في هياج شديد · لو قامتا بما يسهل عليها لحفظ لهما الموجود ورد المفقود وسدت ابواب المطامع واخذت الدولة العثمانية مكانا من القوة تخشع له قلوب الجبارين ولا زدادت بذلك ثقة المسلمين وانبعثت آمالهم · سلكت جريدتنا مذهب الصدق في بيان حال الانكليز مع الدولة العثمانية واثبتت عن بصيرة وكمال خبرة ان الانكليز يهابون منافرة الدولة ويخشون سوء مغبتها · جريدتنا تنادي بذلك من يوم صدورها بينا ان للدولة سلطة معنوية في الهند لم تبلغها حكومة الانكليز بعد افراغ جهدها · هذه حقيقة الامر ومع ذلك لاندري سر هذه السياسة اللينة

التي لانرى لها اثرا الافي الاوراق وتحت اسنة الاقلام والانكليز يقاتلون ويتملكون وتزداد اقدامهم رسوخا يوماً بعد يوم وانطلق بهم الغي الى ان اطالوا ايديهم الى الاوقاف المصرية يطلبون التصرف في خزينتها والقيام عَلَى ادارتها · نعيد الكلام مرة اخرى ونقول ان جميع المسلمين في الاقطار الهندية وما يتاخمها قائمون على قدم وساق متهيئون لمواثبة اعدائهم وسالبي حقوقهم فبثبات مامن الدولة العثمانيه يظهر له اثر عظيم يضطر الحكومة الانكليزية الى ترك مصر · ليس للدولة ان تضيع هذه الفرصة فقلما ياتي الزمان بمثلها · الدول متالبة عَلَى الانكليز والروسية مشرفة على الهند والهنديون في هياج وخطب السودان غير يسير فان لم تاخذ الدولة حقها من الانكليز في هذا الوقت فمتى

تعظيم توفيق باشا لنورثبورك

ورد خبر من القاهرة بوصول اللورد نورثبروك اليها وحصلت الملاقاة الرسمية بينه وبين توفيق باشا وقدم اليه رقيماً من اللورد غرانفيل يوذن ان اللورد نورثبروك هو الوكيل الاعَلَى للحكومه الانكليزية في القطر المصري و يطلب من الحكومة المصرية ان تساعده في حل المشاكل الحالية خصوصاً المسائل المالية فاظهر توفيق باشا غاية المسرة من تعيينه بهذه الوظيفة واكد له خلوص الوداد وكمال الرضى بجميع مطالبه اه

يظهر ان توفيق سر بقدوم اللورد نورثبروك وان لم يكن بينه وبينه معارفة خصوصية ولا له سابقه علم باحواله ولا بما يريدان يعمله في بلاده · هذا يمكن · ولكن ليت شعري ماذا يجني هذا الخديو الشاب من مراضاة هذا الخادع وماذا

يصيبه من سهام حيله . بينا في بعض الاعداد الماضية بعض صفات هذا اللورد وطرفاً من اعماله في الهند ونذكر الان عملاً آخر منها * طلب وهو حكمدار الهند ان يمكن السلطة الانكليزية في مملكة (كابورتال) وهي مملكة واسعة تتاخم لاهورو (بتيالة) فادعى عَلَى مهراجتها (ملكها) انه مجنون وهو في رشاد عقله واعتدال مزاجه وخلعه بهذه الدعوى وسجنه في (بكسو) حتى مات حتف انفه وقيل بالسم وكان هذا الملك المخلوع ابن « راند هير سنك » ونصب بدله ولداً صغيرا من اولاد كاتب من كتاب ذلك الملك ليعد المملكة بذلك للدخول في حوزة الحكومة الانكليزية

كانت الحكومة الانكليزية تركت لبعض الرجوات المخلوعين غابات صغيرة من بقايا املاكهم للصيد فكان اولئك المساكين يسلون انفسهم عَلَى ضياع ممالكهم بصرف بعض الزمان فيها . فلما جاء اللورد نورثبروك حاكماً في الهند رآها كثيرة عليهم فنزعها من ايديهم وحرمهم من هذه المنفعة الزهيدة . هذا اللورد هو الذي طلب سميع الله خان الدهري ليكون معيناً له في مصر عَلَى ارضاء المصريين بحكومة الانكليز وهو الذي اعطى المبالغ الوافرة للمعلم بالمر لينثرها بين العرب حتى يثوروا في اراضي الدولة العثمانية ايام الحرب المصرية كما اخبرنا الثقه الصادق من لوندرا ولكن العرب قتلوا رسوله هذا وشنق به اشخاص في مصر بلا جرم . هذا اللورد هو الذي يبتهج توفيق باشا بقدومه . صان الله الاراضي المصرية المقدسة من شر هذا المحتال ومن شر صاحبه سميع الله خان الدهري .

افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

اهلك الله شعوباً واباد قبائل ودمر بلاداً ولا يزال عدل الله

يبدل قوماً بقوم ويأتي لكل حين باناس آخرين * حكيم سبقت رحمته غضبه جعل لكل عمل جزاء وعين بحكمته لكل حادث سبباً ولا يظلم ربك احداً وليست افعاله جزافاً ولا يصدر عنه شيء عبثاً * امر الله عباده بالسير في الارض (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ليريهم قضاءه الحق وحكمه العدل فيمن سلف ومن خلف فيطيعوا اوامره ويقفوا عند حدود شرائعه ويفوزوا بخير الدنيا وسعادة الاخرة * من كان له قلب يعقل وعين تبصر وعقل يفقه وتتبع حوادث العالم وتدبر كيفية انقلاب الامم وخاض في تواريخ الاجيال الماضية واعتبر بما قص الله علينا في كتابه المنزل بحكم حكماً لا يخالطه ريب بانه ما حاق السوء بامة وما نزلت بها نازلة البلاء وما مسها الضر في شيء والا وكانت هي الظالمة لنفسها بما تجاوزت حدود الله وانتهكت حرماته ونبذت اوامره العادلة وانحرفت عن شرائعه الحقة وحرفت الكلم عن مواضعه واولت من كلامه تعالى على حب الاهواء والشهوات

كما ان للاغذية والادوية واختلاف الفصول والاهوية اثرا ظاهرا في الامزجة بتقدير العزيز العليم كذلك اقتضت حكمة الله ان يكون لكل عمل من الاعمال الانسانية ولكل طور من اطوار البشر اثر في الهيئة الاجتماعية . ولهذا كان من رحمته بعباده تحديد الحدود وتقرير الاحكام ليتبين الخير من الشر ويتميز النفع من الضر فارسل الرسل وانزل الكتب فمن خالف الاوامر الالهية فقد ظلم نفسه فليستعد

لخزى الدنيا وعذاب الاخرة · ان تأثير الفواعل الكونية في اطوار الحياة قد يخفي سببه حتى عَلَى الطبيب الماهر اما تأثير احوال بني الانسان في هيئة اجتماعهم فيسهل الوقوف على سره لكل ذي ادراك ان لم تكن عين بصيرته عمياء ·

الم تران الله جعل اتفاق الرأي في المصلحة العامة والاتصال بصلة الالفة في المنافع الكلية سبباً للقوة واستكمال لوازم الراحة في هذه الحياة الدنيا والتمكن من الوصول لخير الابد في الاخرة · وجعل التنازع والتغابن علة للضعف وداعيا للسقوط في هوة العجز عن كل فائدة دنيوية اواخروية ومهيئا لوقوع المتنازعين في مخالب العاديات من الامم · فمن نظر نظرة في احوال الشعوب ماضيها وحاضرها ولم يكن مصابا بمرض القلب وعمى البصيرة ادرك سر امر الله في قوله واعتصموا بحبل الله جميعا وسر نهيه في قوله ولا تفرقوا · ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم «جاهكم وعظمتكم وعلو كلمتكم» ·

ان الله تعالى جعل الركون الى من لايصح الركون اليه والثقة بمن لاتنبغي الثقة به سببا في اختلال الامر وفساد الحال فمن وثق في عمله بمن ليس منه في شي ولا تجمعه معه جامعة حقيقية ولا تصله به رابطة صحيحه وليس في طبعه مايبعثه علَى رعاية مصلحته او كتم سره ولا يحمله على بذل الجهد في جلب منفعته ودفع المضار عنه فلا ريب يفسد حاله و يسوء مآله وان كان ملكا ضاع ملكه او اميراً بطل امره

والحوادث شاهدة واحوال المغرورين ناطقة فمن لم يرزأ بعمى البصيرة يدرك باول التفات سر نهي الله تعالى في قوله لاتتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق وقوله لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر وسائر نواهيه المبنية عَلَى الحكمة البالغة المرشدة الى مصالح الدارين ٠

لكل شخص في طبقته من امته عمل مفروض عليه وواجب يلزمه القيام به ليحفظ بذلك لنفسه حياة طيبة في هذه الدنيا ويعد لها مآلا صالحًا في الاخرة ٠ وهو انسان له قلب واحد لو جعل معظم همه في شيء فاته سائر الاشياء فلو توغل في الشهوات وبالغ في الترف وبطر فيما انعم الله عليه فقد اغفل فرائضه واضر بنفسه وحرم من منافعه وحل به من عقاب الله اشد الوبال وخسر الدنيا والاخرة معا وربما مست آثار اعماله بالسوء من يجاوره واحترق بناره الموقدة بفساد اخلاقه وانحرافه عن سنن الحق من يساكنه في بلدته او يواطنه في مدينته ٠ وهذه آثار المترفين في كل امة تنطق بما لايعجم الا على اذن صماء وتشهد بمالايخفى الا عَلَى بصيرة كمهاء ٠ وان فيما قص الله علينا من احوال المترفين لاكبر عبرة ٠ وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين ٠ حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لاتجأروا اليوم انكم منا لاتنصرون ٠ ذلكم بما كنتم تفرحون

الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون · هذه عواقب اللاهين بحظوظهم عما اوجب الله عليهم ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى ·

مااوتي الانسان من العلم الا قليلا · لايمكن لانسان وحده ان يحيط بوجوه المنافع الخاصة بنفسه ولا ان يطلع عَلَى منابع فوائده ليكسبها اويكشف مكامن مضاره فيتقيها · خلق الانسان ضعيفا فارشده الله للاستعانة بغيره من بني جنسه · جعلكم شعوبا وقبائل لتعارفوا · خلقنامحتاجين للعون مضطرين للنصير وهدانا ربنا للتعاون والتناصر

هذا مما يحكم به العقل في المصالح الخاصة فكيف لو كان شخص ولاه الله رعاية امة والقى اليه بزمام شعب مصالحه العامة تحت ارادته وهو الوزاع فيه والواضع والرافع · لاريب ان مثل هذا الشخص احوج الى المشورة والاستفادة من اراء العقلاء وهو اشد افتقارا الى ذلك ممن يكون سعيه لمتعلقات ذاته وتكون سعة دائرة افتقاره الى التشاور عَلَى مقدار سعة سلطانه · وقد امر الله نبيه وهو المعصوم عن الخطأ بالمشورة تعليما وارشاد افقال وشاورهم في الامر وقال فيما امتدح به المؤمنين · وامرهم شورى بينهم · اي بصر يزوغ عن هذا الصراط المستقيم · اي بصيرة لاتهتدي الى هذا المنهج القويم · افلم يدبروا القول ام جاءهم مالم يأت اباءهم الاولين ·

ان وازع البلاد والقائم على الملك لولمح لمحة الى نفسه لرأى ان بلاده

في كل وقت معرضة لاطماع الطامعين وان الحرص المودع في طباع البشر يحرك جيرانه كل آن للسطوة على ممالكه ليذلوا قومه ويستعبدوا اهله ويستأثروا بمنافع ارضهم وثمار كدهم ويمنحوها ابناء جلدتهم · فعليه وعَلَى من يشركه في امره من عماله والحكام النائبين عنه في ايالاته وقواد جيشه وعَلَى كل ارباب الرأي ومن بهم قوام الملك ان يستعدوا لدفع طوارىء العدوان ورفع نوازل الغارات الاجنبية· فلو فرطوا في اعداد لوازم الدفاع اوتساهلوا فيما يكف عنهم سيل الاطماع او تهاونوا فيما يشد قوتهم ويقوي شوكتهم باي وجه كان ومن اي نوع كان فقد عرضوا ملكهم للهلاك والقوا بانفسهم في مهاوي الاخطار · هذا مما يفهمه الابله والحكيم ويصل اليه ادراك الجاهل والعليم · وهو سر الافصاح والابهام في قوله تعالى واعدوالهم مااستطعتم من قوة امر باعداد القوة ووكلها الى الطاقة وحكم الاستطاعة عَلَى حسب مايقتضيه الزمان وما تكون عليه حالة من تخشى غوائلهم · هذا امر الله ينبه الغافل ويذكر الذاهل فما لهولاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ·

اعطاء كل ذي حق حقه ووضع الاشياء في مواضعها وتفويض اعمال الملك للقادرين عَلَى ادائها مما يوجب صيانة الملك وقوة السلطان ويشيد بناء السلطة ويحكم دعائم السطوة ويحفظ نظام الداخل من الخلل ويشفي نفوس الامة من العلل · هذا مما تحكم به بداهة العقل

وهو عنوان الحكمة التي قامت بها السموات والارض وثبت بها نظام كل موجود وهو العدل المأمور به عَلَى لسان الشرع في قوله ان الله يأمركم بالعدل والاحسان . كما ان الجور عن الاعتدال والميل عن سبيل الاستقامة في كل جزء من اجزاء العالم يوجب فناءه واضمحلاله كذلك الجور في الجمعيات البشرية يسبب دمارها . لهذا حثت الاوامر الالهية على العدل وكثر النهي في الكتاب المجيد عن الظلم . والجور . والحكام اولى من توجه اليه الاوامر والنواهي في هذا الباب . العدل هو الحكمة التي امتن الله بها على عباده وقرنها بالخير الكثير فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا . وهي مظهر من اجل مظاهر صفاته العلية فهو الحكم العدل وهو اللطيف الخبير .

من سار في الارض وتتبع تواريخ الامم وكان بصير القلب علم انه ما انهدم بناء ملك ولا انقلب عرش مجد الا لشقاق واختلاف او ثقة بمن لا يوثق به وتخلل العنصر الاجنبي او استبداد في الرأي واستنكاف عن المشورة او اهمال في اعداد القوة والدفاع عن الحوزة او تفويض الاعمال لمن لا يحسن اداءها ووضع الاشياء في غير مواضعها فيكون جور في الحكم واختلال في النظم وفي كل ذلك حيد عن سنن الله فيحل غضبه بالخاطئين وهو احكم الحاكمين .

لو تدبرنا آيات القرآن واعتبرنا بالحوادث التي المت بالممالك الاسلامية لعلمنا ان فينا من حاد عن اوامر الله وضل عن هديه ومنا

من مال عن الصراط المستقيم الذي ضربه الله لنا وارشدنا اليه وبيننا من اتبع اهواء الانفس وخطوات الشيطان. ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة انعمها عَلَى قوم حتى يغير واما بانفسهم وان الله سميع عليم . فعلى العلماء الراسخين وهم روح الامة وفواد الملـة المحمديه ان يهتموا بتنبيه الغافلين عن ما اوجب الله وايقاظ النائمة قلوبهم عما فرض الدين ويعلموا الجاهل ويزعجوا نفس الذاهل ويذكروا الجميع بما انعم الله به على ابائهم ويستلفتوهم الى ما اعد الله لهم لو استقاموا ويحذروهم سوء العاقبة لو لم يتداركوا امرهم بالرجوع الى ما كان عليه النبي واصحابه ورفض كل بدعة والخروج عن كل عادة سيئة لاتنطبق على نصوص الكـتاب العزيز ويقصوا عليهم احوال الامم الماضية وما نزل بها من قضاء الله عند ماحادت عن شرائعه ونبذت اوامره فاذاقهم الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون. عَلَى العلماء ان يزيلو اليأس بتذكير وعد الله ووعده الحق في قوله وعد الله الذين امنوا وعملو الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا . هذه وظيفة العلماء الراسخين وما هم بقليل بين المسلمين ولا نظنهم يتهاونون فيما فوض الله اليهم ووكل الى ذمتهم وهم امناء الدين وحملة الشرع ورافعوالواء الاسلام واوصياء الله عَلَى المومنين اعانهم الله عَلَى خير اعمالهم ونفع بهم المومنين بارشادهم .

﴿ ونريد ان نمن عَلَى الذين استضعفوا في الارض ﴾
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين

للانسان عقل سمي وفكر علي وحدث قوي وبراعة في الاستدلال ومهارة في الاستنباط ومع هذا كله تراه في رأيه عليلا ولا يصيب في مقاصده الا قليلا • تشابه علل الحوادث في تنوعها يحول بين المرء وعلم الحوادث الاتية ويحجب عن نظره جادة الصواب فيخبط في خطاء ويخوض في عمه وتلتبس عليه المقدمات فتشتبه النتائج فيختل قياس الاستنباط * هذا ما يحمل كثيراً من الناس عَلَى الحكم باستحالة ممكن او امكان مستحيل* لو ان حاذقاً بصيراً بفنون السياسة خبيرو باحوال الامم ذهب الى البلاد الهندية قبل اليوم باربعين سنة وساح في ارجائها ووقف عَلَى احوال اولاد السلاطين المغوليين وما هم فيه من الذلة واحفاد تيبو سلدان وما اصابهم من الفقر والمسكنة وسلالة سلاطين (اوده) وما نزل بهم من الهوان ونوابي (كارناتك) وامرآء السند وما حل بهم من الصغار وتدبر شؤن (مرتة) تلك القبيلة العظيمة القاطنة في (فونا) و (وستارة) وما حولها واحاط بالبلاء المنصب على غيرهم من سائر الامراء والرجوات العظام ثم لاحظ سلطة الانكليز وتغلبهم عَلَى تلك البلاد وما اعدوه لقهرها من الآلات الحربية والحصون القوية وما هم عليه من الحذق في الحيل والخدع السياسية وما عليه رعاياهم من

الضعف والعجز وسلامة القلب وغرة الجنان ولواتي من الفكر في لواحق هذه الاحوال على غاية جهده لحكم بناء على ما لديه من المقدمات وما يحضره من الاقيسة بان اولئك الاقوام وسلائل الامراء واحفاد السلاطين قد ضرب عليهم الذل الابدي وسجلت عليهم العبودية السرمدية بل ربما ذهب به الوهم الى الحكم عليهم بتحتم الفناء ولزوم الاضمحلال * فان الناظر في شؤنهم ما كان يحضره الا صولة الانكليز وسعة اقتدارهم وخضوع الهنديين وشدة عجزهم * ما كان يخطر في ذلك الوقت بخاطر احد ان الايام تأتي بهذا الحادث الجديد ٠

ان الروسية تقطع الفيافي من وراء بحر الخزر حاملة عواملها رافعة اعلامها ضاربة في تلك البوادي زاحفة الى حدود الهند ٠ ما كان يختلج في صدر احد في تلك الاوقات ان حرص الانكليز وطمعهم في الاستيلاء على مصر يوجب انحراف الدول عنهم و يقتضي قيام رجل السياسة (البرنس بسمارك) لجمع كلمة الدول عَلَى مضادمتهم ٠ ما كان يحوم في خيال ان قائماً يسمى محمد احمد يقوم بدعوة دينية في اعالي السودان و بعد ارغامه للانكليز مرات يحرك قلوب الهنديين و يوقظ نائمهم و يثير الساكن من خواطرهم و ينهض الهمم ويحيي الامال فيهم بعد القنوط وتنتشر دعوته في ارجاء الهند ٠ نعم ومن اين يكون للانسان علم هذه الحوادث وهي محجوبة بستار الغيب ٠ فهو معذور في احكامه مقسور عَلَى اوهامه ٠

نرى دوائر السوء تدور بالحكومة الانكليزية وقد تهيأت ضاريات الشر للوثبة عليها وليس لها حليف في اوربا وان استئثارها بمنافع الامم وطمعها في الاختصاص بمصالح العالم ابعد عنها الاصدقاء ونفر منها الاولياء · فكانت هذه السقطة نهزة لنهوض الروسية وتقدمها الى الحدود الهندية ومن مصلحة الدول في اوربا خصوصاً دولة الالمان عَلَى ما يظهر من جرائدها الرسمية ان تؤيد الروسية فيما تقصد من فتح الهند فان اندفاع السيل الروسي على تخوم الهند خير لاوربا عموماً والمانيا خصوصاً من انحداره الى بعض المواقع الاوربية وانجع في صيانة السلم الاوربي* اذا جاء يوم التصادم بين الروسيا والانكليز عَلَى حدود الهند وما هو ببعيد كان قضاء السوء عَلَى الجيش الانكليزي في الصدمة الاولى فيما نظن لقلة عدده ولان العدد الغالب فيه من الهندبين الحرجة صدورهم المجروحة قلوبهم المترقبين لفرصة تمكنهم من الخروج عَلَى حكامهم الظالمين · فاذا وقعت الهزيمة اشتعلت نار الثورة في عموم الهند ومحيت سلطة الانكليز بايدي الهندبين ·

ليس من الممكن للروسيه ان تستولي على الاقطار الهندية استيلاء مطلقاً لاول وهلة فان البلاد واسعة اطرافها شاسعة تحتاج في ادارتها والمحافظة عليها الى ملايين من الناس يعسر عليها جلبهم من بلادها البعيدة نعم ان الانكليز تسلطوا عَلَى الهند ولكن في احقاب · فدولة الروسية ملجأة بحكم الضرورة الى تشكيل ممالك في الهند يديرها رجال

من العائلات الملكية القديمة من اولاد سلاطين المغول وذريـة تيبو سلطان وامراء السند و (اوده) و (كارناتك) والمرتيين وغيرهم وتكتفي دولة الروس بعقد محالفات تجارية بينها وبين تلك الممالك · وربما كانت هذه السيرة توافق بعض الامارات الاسلامية المستقلة وبعض ممالك المسلمين وقد يكون من مصلحة دولة ايران وامارة افغانستان ان تتفقا مع الروسية اتفاقاً يفيد كلاً من المتحالفين ·

ان الروسية ما جاءت الى مرو لتهلك عساكرها في قفارهـا ولا يصدها عن سيرها اخلاصها في محبة الانكليز ولا ارتباطها معهم بعهد مع علمها ان لا عهد لهم · انما جاءت لتفتح باب التجارة مع اثرى قطر في المشرق وتهدم سلطان الانكليز فيه فان الاثرة الانكليزية ما تركت مصلحة تجارية تتمتع بها امة من الامم · هذا عارض سوء عَلَى حكومة بريطانيا ولكنه سحاب رحمة عَلَى الهنديين بما انتقم الله لهم من عدوهم فبذلك فليفرحوا وليسعد الامرء انفسهم لما اعد الله لهم من العزة بعد الذلة والحرية بعد العبودية والخلاص من قهر حكومة لا ترحم صغيراً ولا توقر كبيراً ·

لا نظن ولن نظن ان يجد الانكليز لهم يوم التصادم نصيراً من دول اوربا ولا من دول المشرق ولا من الهنديين ولا من صنف من اصناف البشر لانه لا توجد نفس تشعر بوجود حكومة الانكليز عَلَى سطح الارض الا وقد مسها منهم شيء من الضر * ان حكومة الانكليز

تشعر بقربها من هذا الخطر العظيم وتعلم ان ما ينزل بها من المصاب في الهند لا يقتصر ضرره عَلَى حالها فيه ونكبه يزلزل جزائر بريطانيا فان حياتها ومجدها ليس الا بالهند كيف لا يشعر الانكليز بسوء عاقبتهم وهم يحسون بضعفهم في القوى العسكرية وانحراف قلوب رعاياهم الهندبين عنهم واحتدامها غيظاً عليهم عجل الله لهم ما فيه خير الضعفاء ·

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم ﴾
﴿ البينات واولئك لهم عذاب عظيم ﴾

ازفت هجمة الروسية عَلَى الهند وسير الدول في سياستها وحرصها عَلَى تقرير السلم في اوربا يمد الروس في مقاصدهم ويهيء لهم الاسباب ويقرب مدة الوصول · هذا طور من السياسة جديد لو اتفقت فيه دولة ايران مع امارة افغانستان لكان لكل منهما حظ وافر ونفع جزيل · ان الروسية وان كانت تنصرها نفرة القلوب الهندبين من الانكليز الا ان في طريقها عقبات لا يذللها الا موالاة الفرس والافغان · ان الهند بعيد من معسكرات الروس ودونه مسالك مجهولة وطرق ملتوية وليس الروس من الخبرة بها في شيء · الروس في حاجة للمواصلة مع امراء الهند وفي ضرورة للوقوف عَلَى اخلاقهم ومجاري ميلهم ومواقع اهوائهم ولا سبيل يوصلهم الى ذلك الا اشراك الفارسيين والافغانيين في اعمالهم الحربية

والسلمية. ليس من السهل على الروسية ان تستعين بدولة فارس وامارة الافغان عَلَى فتح ابواب الهند الا ان تساهمهما في الغنيمة وتشركهما في المنفعة والا كانا سداً محكماً دون اهم غاياتها.

كيف يمكن للروسية ان تخرق تلك الاجسام الآخذة بطريق الهند وهي مرابض الاسود. كيف تتوهم السلامة في معابرها الضيقة اذا قصدت الاختصاص بالفريسة. ان الروسية لا تخفى عليها صعوبة الامر ولا يغيب عنها ان كشف امة عظيمة عن بلاد سكنتها احقاباً ونالت فيها اعلى مجد واعظم فخار يعد من اعظم الاعمال ويحتاج لكثرة الاعوان والانصار وليس بين يديها من يصح به الاستنصار الا دولة الفرس وحكومة الافغان فليس من الحكمة في العمل ان تختص دونهما بثمراته خصوصاً وانها لا تبتغي سوى فتح ابواب الهند للتجارة. فعلى الافاغنيين ان يرفعوا ابصارهم ويستقبلوا حظهم بفكر سديد وعقل رشيد ويتقدموا للاتفاق مع اخوانهم الايرانيين فليس بينهم وبينهم مايصح عليه الاختلاف في المصالح العمومة فالجميع من اصل واحد وتجمعهم رابطة واحدة وهي اشرف الروابط « رابطة الدين الاسلامي » وليعلموا ان استمرارهم على التخالف في مثل هذا الوقت ربما يجلب الضرر عليهم وعَلَى اخوانهم الفارسيين بل وعَلَى اخوانهم المسلمين من الهنديين. وعَلَى الفارسيين والافغانيين ان يراعوا الكلمة الجامعة والصلة الجنسية ولا يجعلوا الاختلاف الفرعي في المذهب سبباً في خفض الكلمة الاسلامية وقطع

الصله الحقيقية فليس من العقل ان يقام من خلاف جزيء علة لاضمحلال الكل ٠

اظن ان قد علم كل من القبيلين ان الاختلاف بينهما هو الذي جلب على كل منهما ما جلب ٠ هـذا الخلاف الفرعي بينهم استعمله بعض السياسيين في الازمان السابقة الة للشقاق والمناوات وربما جنوا من غرسهم ثماراً انيه ولكنه الان لا يثمر الا الدمار والبوار وهذا مما لا اخاله يخفى عَلَى عاقل ٠ لا يجوز للافغانيين في هذا الوقت ان يقفوا عند هذا الخلاف الفرعي فليجوزوه الى الوحدة الاصلية فان الاخطار حاطتهم من كل جانب ولا منجاة لهم الا بالاتفاق مع اخوانهم الفارسيين هذا وقت التآخي وهذه فرصة الالتئام ليس للافغانيين عذر ولا للتعله عندهم محل لاسيما وقد تولى الصدارة في الدولة الفارسية رجل عظيم القدر رفيع الشان واسع العرفان لا تحجبه شوءن الكثرة عن ذات الوحدة ولا تقف به اطوار التلوين دون منازل التمكين ولا تشغله مظاهر الفرق عن مقامات الجمع يتجلى له الواحد في مراتب الكثير وتنجلي له حقيقة الاحدية في المنازل العديدة فالاتحاد مشربه والائتلاف مذهبه وعندي انه الاب الرحيم لكل ايراني بدون استثناء يسعى لجمع كلمتهم بلا ملاحظة اختلاف في المذهب ولا تفارق في الفروع وانما يراعي الجامعة الحقه فعلى الافغانيين ان يمدوا سواعدهم في هذه الاوقات لمحالفة اخوانهم ولا يضيعوا هذه الفرصة وعَلَى القبيلين ان يجعلوا وفاقهم سياجاً

لاوطانهم وعدة لمكافحة اعدائهم ومنبعاً فياضاً لخير بلادهم فينالوا شرفاً رفيعاً و يورثوا اعقابهم مجداً مخلداً ·

كيد الانكليز في مصر

ارسل الانكليز مراكبهم الى ثغر اسكندريه سنة ١٨٨٢ بلا سبب او لقصد تهييج الخواطر الساكنة ثم اطلقوا نيران مدافعهم عَلَى ذلك الثغر فكان عملهم الاول والثاني سببا في خسارات جسيمة نكب بها سكان البلاد ثم كان الضمان عليهم · هذا اما من سوء حظ المصريين او لضعف الحكومة او خرقها · لا ريب ان خزانة الحكومة المصرية في عجز عن اداء هذه الغرامة الثقيلة التي هي في الحقيقة قصاص بلا جناية · ولكن مع ذلك للمصابين حق في المطالبة بخسائرهم وليس لهم صبر عَلَى الامهال فيها · فحدثت ربكة وحكومة الانكليز كالصياد الماهر لا يطلب السمك الا عند تعكير الماء رأت ان تصيد صيداً او تخطوا خطوة اخرى الى مقصدها في مصر بعد خطواتها السابقة او تمكن مخالبها في احشا مصر بل يصح ان نقول ان الحكومة الانكليزية بحيلتها التي اشرفت عَلَى تتميمها تريد ان تقبض عَلَى زمام البلاد المصرية فتكون باسرها في تصرفها ·

من المعلوم ان عمار المساجد والمدارس الدينية انما هو بالاوقاف الشيء انشاها صلحاء الملة من ازمان مديدة ولا يزال ينشئها المتقنون لاثارهم وقيام الدين الاسلامي انما هو بعمار المساجد والمدارس الدينية فالاوقاف عماد عظيم يقوم عليه عرش الديانة الاسلامية · فقصد رجال الحكومة الانكليزية بكيدهم ان يجعلوا العلماء الذين يعمرون مساجد الله ومعاهد العلوم الشرعية خاضعين لاحكامهم مرتبطين بعمالهم حتى يستعملوهم (وان طلبوا محالاً) في جلب قلوب الاهالي اليهم وتأليفها عَلَى ولائهم وربما نالوا بهم حجة عند دول اوربا يثبتون بها رغبة المصريين

في بقائهم تحت سلطة الحكومة الانكليزية واطمئنانهم الى ماتقتضي به فيهم

هكذا رأى اللورد نورثبرك ان يحل مسئلة التعويضات بان تدفع الحكومة الانكليزية قرضاً للخزينة المصرية تؤدي به تعويضات الخسائر التي حدثت من ضرب اسكندرية عَلَى شرط ان تكون الاوقاف العمومية كافلة للقرض وفوائده وتكون ادارة الاوقاف في تصرف رجال من الانكليز ·

الا ايها النائمون تيقظوا الا ايهـا الغافلون تنبهوا ايا اهل الشرف والناموس ويا ارباب المروءة والنخوة ويا اولى الغيرة الدينيـة والحميـة الاسلامية ارفعوا رؤوسكم تروا بلاءً منصباً عَلَى اوطانكم وما انتم ببعيد منه ولا معزل عنه ان لم يكن اصابكم اليوم فسيصيبكم غداً تساهلتم في الذود عن حقوقكم المقدسة ولهوتم عنها اضمرت لكم هذه الحكومة الماكرة من الاهانة والتذليل وسوم الخسف وتعللتم بالاوهام · فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور · اصبحتم عَلَى شفـا جرف المذلة ويخشى ان يقذف بكم بعد قليل في جحيم العبودية

الا ان وقت التدارك ما فات فالارواح في الاجساد والعقول في الرؤوس والهمم في النفوس واقدام العدو في زلل وشؤونه في خلل فاثبتوا ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين لاترضوا بالدنية خوفاً من المنية واعلموا ان ثباتاً قليلاً واقداماً خفيفاً في هذا الوقت يفعل ما لا يفعله الجيش العرمرم · نعم فان الدول متفقة عَلَى معاكسة الانكليز والانكليز في شغل شاغل بالمسئلة السودانية وقلوب رعاياهم في الشرق خصوصاً المسلمين منحرفة عنهم وكوامن الاحقاد متهيئة للوثبة عليهم · فعمل صغير في مناواتهم من اهل مصر يوجب بعون الله سقوطهم وتنكيس اعلامهم ورجوعهم بالخيبة خاسرين فالثبات الثبات وحذار حذار من التواني والتقاعد · هذا وقت يتقرب فيه المومنون الى ربهم بافضل عمل شرعي هذا وقت تنال فيه سعادة الدارين · للعامل فيه خير الدنيا وله في الاخرة الحسنى وزيادة هذا وقت تظهر فيه ثقة المؤمن بوعد ربه

هذا وقت يشكر فيه العامل عَلَى بسيط الارض ويحمد له عمله فوق سبع سموات الا ان الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوا اعداكم ولا تكونوا كالذين استحبوا الحياة الدنيا عَلَى الاخرة . ان الله تعالى قد جعل من علامات الايمان حب الموت اختيارا لرضاه واعلاء لكلمته كونوا مع الله في نصره ينصركم ويثبت اقدامكم ثقوا بوعد الله فلن يخلف الله وعده ان اخلصتم له في العمل سلوا قلوبكم وامتحنوا ايمانكم ولا ترتابوا في وعود ربكم فلن يرتاب فيها الا القوم الكافرون .

فرانسا وانكلترا

اظهرت جريدة استندارد عند كلامها عَلَى السياسة الفرنساوية حدة زائدة وقالت انا وان كنا لا ننصح حكومتنا (الانكليزية) بمعاداة دولة فرانسا ولكن علينا ان ننهج الطريق الذى يوافقنا بدون ان ننتظر فضلا من الامة الفرنساوية ولا ان نخشى غائلتها فان كل عمل لا يبنى عَلَى هذا الاساس لا تكون غايته الا الخيبة ولا عاقبة له الا الخسارة وان تباين المصالح بين فرانسا وانكلترا في درجة لا يمكن معها وفاق بين الدولتين اه ولم تنفرد جريدة استندارد بهذا القول ولكن عَلَى شاكلتها جميع الجرائد الانكليزية المهمة وليست جرائد فرانسا باقل حدة من جرائد انكلترا في تسوئة السياسة الانكليزية وهذا مما يرشد الى تمكن النفرة بين الدولتين وربما ذهب بهما التباغض الذي يزداد يوماً بعد يوم الى مقارعة اشد من مقارعة الكلام والسياسيون في انكلترا يرون انهم يخسرون في ذلك اليوم اكثر مما تخسر حكومة فرانسا فان انفرادهم عن الدول وضعفهم في القوى العسكرية وجفول امتهم من الحرب خارج بلادهم اذا امتد زمنها او كان المنازل فيها امة قوية حربية كل هذا سيوقعهم في فشل لا يسهل عليهم النجاة من عواقبه نسال الله تحقيق ما يخافون .

✡ (أسف) ✡

انبأت الاخبـار الاخيرة بحدوث ثورة في دارسين من بلاد ارمنستان قصد الاخلال بالسلطة العثمانيه في تلك الاقطار ومهب ريح هذه الثورة من جمعية الارامنة في تفليس والاسلحة والذخائر ترد الى الثائرين من تلك الجمعيـة . هذه هي الامم الخاملة التي لم يكن لها في الكون مكان ولا عَلَى صفحـة الوجود اثر ولا في صفوف الامم العظام قدم اصبحت تطلب اسماً سمياً وشأناً علياً . تنفق اموالاً وتبذل ارواحاً ولا تبالي باغوال المنايا فما بالـ المسلمين في بعض الاقطار وقد كانوا هامة العالم نراهم اليوم في قنوط و يأس تتخطف الدول الاجنبية ممالكم وهم في سكون يكتنفون باسف العجائز وتحسر الزمنى مع ان لهم دولاً عظاماً وعددهم يتجاوز مائتي مليون من النفوس . ان هذا لشيء عجاب

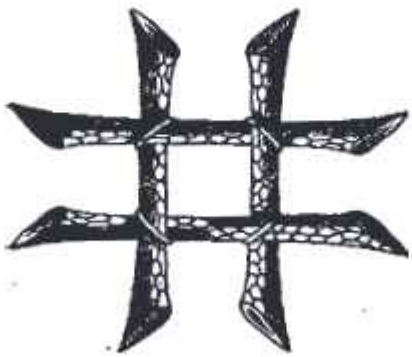

باريس

يوم الخميس في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١ و ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٨٤

حركات العقلاء عَلَى حسب المقاصد ومقدرة نقدرها واولاها بالاعتبار ما يصدر عن كبار الرجال الذين يدبرون شؤون الممالك عَلَى قواعد العقل واصول الفكر · عَلى رعاة الامم في كل مملكة ان يكون بمرصد لكل حركة سياسية و بمرقب للنظر في غاياتها والتنقير عما بعث عليها · رب نهضة من سياسي عظيم تميد لها الراسيات في كل دولة وتضطرب لها الروابط العامة بين امة وامة · فليس لمحنك في السياسة ان يقصر نظره على ما عنده و يرد كل حادث سياسي الى مارسم في مخيلته واعتقده موافقاً لمصلحته فيضل عن الرشد بالقصور و يغيب عنه الصواب بالغرور · بل عليه ان يطالع مقاصد السياسيين في لوح الامكان و يتلوها في صفحات المنافع والمضار التي يحمل عَلى جلبها او يدعو الى دفعها طبائع الامم ولوازم مليتهم ومواقع بلدانهم وعلائقهم مع من سواهم حتى يمكنه ان يكون بين هذه الجواذب والدوافع حافظاً لمداره واقياً لنظام سيره · يكون عَلَى غوارب امواج الحوادث كالملاح الماهر يضرب بسفينته عروض البحار في امن من الاخطار يستفيد حتى من

العواصف وينجو حتى من القواصف ·

كانت حكومة فرانسا اشد الدول في دفع انكلترا عن مطالبها المالية و بهذه الشدة سقط الموتمر · بعد هذا بذل البرنس بسمارك جهده في اجتماع القياصرة الثلاثة فاجتمعوا في (اسكيارنيافيس) · ثلاثة ملوك عظام تلاقوا بعد طول المخابرة ومعهم وزراوهم رجال تميزوا بين السياسيين بعلو الراي و بعد الغاية · هل كان هذا التلاقي لاطفاء لوعة الشوق واجابة داعي المحبة الشخصية · لا · هل كان كما قاله بعض الجرائد للتداول في الوسائل التي يجب استكمالها لقهر الفوضو يين · كيف يكون هذا وليس اعوان الفوضى الا كلصوص تقمعهم السطوة الداخلية ويكفي لسد ابواب الفرار في وجوههم مخابرات خفيفة بين اولئك الملوك كما هو الشان في امثالها من المسائل الجزئية · ما تقوله الجرائد من هذا القبيل انما يقصد به التعمية وصرف الاذهان عن النظر في الحقيقة * اي غرض عظيم دعاهم للاجتماع * لم يجتمعوا لنفع دولة واحدة فان حكم المنافسة محى فضيلة الايثار · قد انضم لهذا الاجتماع تعدد الملاقاة بين البرنس بسمارك بهذا الاتفاق الامبراطوري ان يجعل لفرنسا ركنًا شديدًا في معارضة انكلترا حتى يستحكم الشقاق ويفضي الى حرب توهي القوة الفرنساوية ويصيب منها ما يجب · هذه فائدة خاصة بدولة الالمان لو قدرت على نيلها فماذا ينال الدولتين المنافستين لها من الاتفاق معها · او يريد البرنس مجرد المجاملة لفرنسا

وتقطيب جراحها بتاييدها في رغباتها فتكون المصافاة بينها وبين المانيا وتنسى الاحقاد بينهما · غاية لا تطلب والشان فيها كسابقتها · يقصد البرنس مجرد الانتقام من وزارة بريطانيا تشفيا من غيظ الاهانة التي لحقته في المؤتمر · ان كان هذا فما بال الدول تتفق معه على انتقام شخصي لا يمس المصلحة المشتركة · هل هذه الحركة الشديدة موجهة الى ما يقصده بسمارك من التملك والفتوح في الشرق والى هذا القصد تنتهي · ايصح ان يكون ذلك الامر الكبير وسيلة لهذا الغرض الحقير · على ان انكلترا كانت اقرب الى المانيا في هذه الوجهة واجدر بان يميل اليها البرنس ويتحالف معها لنيل هذه البغية ·

هل اراد البرنس ان يخل الروسية ويلهي فرانسا بالمسئلة المصرية لتنام الاعين عن دولة النمسا فتتقدم من طرف هرسك وبوسنه الى ما شاء الله ووسعت القوة · شفقة في غير موضع وصنيعة في محل القطيعة · هل احب البرنس ان يمتع نظره بشهود الفتوحات فبعد ما فتح للنمسا باباً في الشرق من جهة هرسك رسم للروسية طريق هراة وقندها ومد لفرنسا خطاً في حدود تونس وهو قرير العين بما يرى ويسمع من توسع هذه الدول في فتوحاتها وان لم تعد من ذلك فائدة على الامة الالمانية · شيء لا يأتي عليه الفكر ولا يصيبه النظر · هذا ولا يصح لنا ان نقول ان الحلف العظيم بين القياصرة واهتمامهم بتأكيد الروابط بينهم لمجرد كف يد الانكليز عن مصر وابقاء فائدة الدين ومبلغ

الاستهلاك عَلَى ما كانا عليه وحفظ قانون المالية المصرية كما ظن مكاتب التان البرليني قال ان في عزم البرنس بسمارك ان يؤيد الحجه الفرنساوية بثبات شديد وارادة صحيحة وسيكون مع فرانسا يداً واحدة في ابقاء الحالة المالية في مصر على ما كانت عليه وفي زعم المكاتب ان هذا كان باعثاً لسياسي انكلترا عَلَى بذل الجهد لحل عقدة الاتفاق بين المانيا والنمساوبين فرانسا . فان المسئلة المصرية بمجردها ليست مما يدعوا الى حملة عمومية

اني ارى تحت هذا النقع جحافل اهوال ووراء هذا الغيم وابلات ارزاء ارى تنقلاً قريباً في حدود الجغرافيا السياسية وتغيراً عظيماً في الخطط الدولية وانقلاباً في هيئة الروابط العمومية نعم قد يكون من المبادي الاولية لهذا العمل ان يتفق البرنس بسمارك مع فرانسا فانه لم يجد خيراً في مناواتها زمناً طويلاً وكلما رام الوضع منها زادت علواً وارتفاعاً فيريد ان يجرب صداقتها كما جرب عداوتها وان يدفع البرنس دولة الروسية الى اسيا فهو اسلم للدولتين الالمانيتين ثم يبعث النمسا عَلَى التقدم خطوات حيث تولي وجهها وفيما تخلفه ورأها فائدة البرنس النقدية * ارسل البرنس ولده الكونت هيربرت بسمارك سفيراً في لوندرا ليكون حفيظاً لسره اميناً عَلَى عمله حتى اذا فاته ما يرجو من العزيمة الاولى لم يخجل من الانقلاب عنها الى الاخرى وربما يرى الارتباك الذي يؤدي به الى ما يريد انما يكون بعقد مؤتمر جديد باسم المسئلة المصرية ويقال انه

سيثبت عَلَى شدته في هذه المسئلة الى حد كما روته الجرائد المهمة * قضت الحوادث ان تكون الدولة العثمانية والحكومة المصرية التي هي جزء من اجزاء الدولة في مهب رياح مختلفة فعليها التيقظ التام والاحتراس الشديد كيلا يكون خسارهما في استفادة غيرهما . اذا قامت الدولة بعمل كما يليق بها حفظت حقوقها وصانت بقية ممالكها . الحكيم اليقظ يستفيد من كل حادثة والاخرق الغافل عرضة لكل خطر . الدول تطلب نكاية الانكليز من كل وجه فما الذي يمنع الدولة العثمانية من مجاراة الدول العظام وهي اقدرهن عَلَى الاضرار بهم فانهم في بلادها يعثون فيها مفسدين وسكان البلاد لا ينتظرون الا خطوة من دولتهم اليهم فيقيمون القيامة عليهم

اسماعيل باشا

رأينا في جريدة المتان نقلا عن الغلوا ان موسيو كورسيل سفير فرنسا في برلين اخبر حكومته بوجه رسمي ان القياصرة الثلاثة استقر عزمهم ان يبعثوا الى الخديو (توفيق باشا) بلائحة مقتضاها ان مسنده سيكون في خطر اذا استمر زمنا طويلا عَلَى الركون لانكلترا في الدسائس المالية بالقطر المصري . وان السعي في عود اسماعيل باشا الى مصر سيكون مؤيدا من وزارات برلين وسنبترسبورج وفينا وباريس وان

موسيو هيربرت دو بسمارك ياخذ على نفسه ان يشهر الدوائر السياسية بلوندرا مايترتب عَلَى عود الخديو السابق من الفوائد حيث يظهر علنا ان عود اسماعيل باشا هو افضل في نظر الدول من الاعمال التي تصدر من انكلترا متعلقة بمصالح اوربا ومنافعها في البلاد المصرية اه

انا نعلم ان اسماعيل باشا لو رجع الى مصر لا يكتفي بتخفيض سلطة الانكليز في وادي النيل بل يبذل جهده في محو النفوذ الانكليزي بالمرة وربما مد بحباله الى سائر البلاد المشرقية الداخلة في سلطة الانكليز ليحبط اعمالهم فيها ويهدم اركان سلطتهم عليها لانه يعلم ان الدولة الانكليزية هي السبب في كل مصاب نزل به وكان الانكليز احسوا بذلك منه عَلَى ماروته بعض الجرائد فدفعوه عن نيل مقصده ولا يزالون يدفعونه * لكن لو اتفقت بقية الدول مع الدولة العثمانية عَلَى ارجاعه لم يبعد وقوعه غير ان احدى الجرائد ذكرت مانعا قوياً وعائقا شديدا يحول دون نجاح هذا المقصد وهو امتناع الذات الشاهانيه عن اصدار الفرمان لاسماعيل باشا بخديوية مصر ايا كانت الحالة . واستعظام هذا المانع مبني على ماترآى للسلطان من ان اسماعيل باشا وهو في اوربا اعزل فاقد السطوة لاحول له ولا قوة كان مهما للتشويش عَلَى الخلافة العثمانية ومعارضة الذات الشاهانية وان الرسائل الكثيرة والمقالات المتعددة المطبوعة في الالسن المختلفة المشحونة بما يمس الخلافة وقد وصل الى علم السلطان ان الحامل على تحريرها

هو اسماعيل باشا فهذا الظن هو الذي يمنع السلطان من تسهيل الطريق لعودته لحسبانه انه لو صاو له نفوذوسلطة في مصر فربما صدرت عنه اعمال لاتوافق مصلحة الدولة · فعلى راي صاحب الجريدة ان عود اسماعيل باشا الى مصر بعد اليأس من انكلترا لايكون الا باصلاح الصلة مع السلطان واستمالة سائر الدول * هل يمكن هذا * ربما يمكن اذا وثق السلطان بما يطمئن به ووضح للدول مايصح الركون اليه · هذا اذ لم تراع الدول ولا الدولة العثمانية حركة الافكار العمومية في مصر فان جعلت هذا اساس العمل زادت المسئلة صعوبة فان الراي في هذه الايام مختلف بالديار المصرية فمن الناس من سبقه ميله لتوفيق باشا ومنهم من قام يدعو الى حليم باشا و يطلب من الناس ان يوقعوا على محضر بطلبه كما جانا به خبر الثقة ومنهم من هو ممسك عن الراي صامت عن القول وسنأتي عَلَى بيان هذه المسئلة فيما بعد اذا دعت الحوادث حقيقة للكلام فيها ·

الفرصة

اذا تليت سطور الحوادث الاخيرة واعطيت حقها من الاعتبار ولو حظ ماوصلت اليه هيئة السياسة في اور با لهذا العهد القريب وما يشف عنه اجتماع القياصرة الثلاثة وما يرشد اليه تداول الزيارات

بين البارون دو كورسيل سفير فرانسا في برلين وبين البرنس بسمارك ولو تبصر متأمل فيما يتبع ذلك لصح له الحكم بخطر الحالة في مصر على انكلترا وانه لم يبق لتخليصها من يديها الا شيء واحد وهو قيام العثمانيين على حقوقهم واشتدادهم في طلبها وعدم اطمئنانهم لرقيا وكلاء الانكليز في الاستانة . خصوصاً في هذا الوقت الذي همت فيه الدول بتخفيض السلطة الانكليزية ونزع مصر من يد انكلترا ويرى السياسيون انه لاشي اشد تأثيرا واجمل عائدة في تلطيف المسئلة المصرية من مداخلة الدولة العثمانية . اخبر مكاتب التان في فينا بناء على ماوصل اليه من مصدر يوثق به ان دولة المانيا والنمسا والروسية من رأيهن ان تداخل الدولة العثمانية وتجديد سلطة السلطان في وادي النيل يوجب تعديل الحالة السياسية وليس الغرض من هذا الا كف ايدي الانكليز عن تلك الاقطار . . فليس من الرأي ان تصغى الدولة العثمانية لنصائح انكلترا ووكلائها وهي ترى ان جرائد الانكليز تنادي بلسان الامة الانكليزية على حكومة بريطانيا طالبة منها اعلان الحماية على مصر بل والتمكين في خرطوم بعد رفع الحصار عنها وتنصيحها بمد سكة الحديد من سواكن الى مدينة خرطوم فلو تساهلت الدولة في هذا فقد فرطت في جزء عظيم من ممالكها واضاعت حقاً ثابتا واي دولة سواها تهتم باخراج الانكليز من مصر فهي صاحبة الحق فيها فلا يكون للدولة نصيب من ملكها اذا اضاعته بالتفريط .

اللورد نورثبروك وزبانيته يسعون لجلب قلوب الاهالي بتزيين الاماني وتخييل الامال « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا » ليتخذوا من ميل المصريين حجة يجادلون بها الدول ويثبتون لانفسهم حقاً قانونيا في الاقامة بمصر . ثم من جهة اخرى يحشدون قوة عظيمة الى مصر استعدادا لتلقي الحوادث المنتظرة لكن تحت اسم انقاذ كوردون فلو وجد الانكليز برهانا من الحيلة ومنعة بالقوة وحملهم الغرور والكبرياء عَلَى مشاورة الدول اعتمادا عَلَى عدم الاتصال في البر وتمكنهم من النقاط الحربية في البحر كمالطة وقبرس وان تحارب الدولة العثمانية فهم اقدر الناس عَلَى محاربتها من جهة العريش وفي عموم السواحل فماذا تكون العاقبة . هل تكظم الدول غيظهن ويتركن الانكليز وشأنهم . لانظن ذلك ولكن اذا حالت الموانع دون نكاية الانكليز في مصر عمدت الدول الى نكايتهم بالحصول عَلَى غنيمة تعادل مصر ولا تكون الا من بلاد المسلمين فتساهل اصحاب الحق الشرعي في وادي النيل يضيع لهم حقوقاً اخر في غيرة

ان الدولة العثمانية اولى من سائر الدول بالعمل في المسئلة المصرية واجدرهن بالاهتمام بها ومن الواجب ان تكون اشد حرصاً عَلَى الظفر بالانكليز فيها . ان الدولة في مقام المدافع عن حياته وهو بحكم الطبع اقوى باعثا وادني للعمل من طالب الفائدة . ان شر يقع اولى بالتلافي من شر يتوقع وان خطرا عاجلاً احرى بالالتفات من وهم باطل* نفوس المصريين في هياج فان ما افسد قلوبهم عَلَى الانكليز من سوء التصرف في

الحكومة واستلام ادارتها وابطال الحقوق الوطنية وحشد الجيوش الى البلاد لقصد التمكن فيها كل هذه سهام خرقت شغاف القلوب وزاد الجراح نغرا ما اعترفت به جريدة التمس من اشتداد الارتباك وتعطل اسباب المعيشة ووقوف دولاب التجارة واشراف العائلات الكثيرة على الافتضاح خصوصاً الذين كانوا في خدمة اوطانهم وحرموا منها . فلو احس المصريون وهم في هذه الحالة بحركة خفيفة من دولتهم (العثمانية) لكفوها شر الانكليز وقليل من العمل فيه الكفاية . اليوم يتوجه الانكليز الى السودان فلو لمحوا ثباتا من العثمانيين لوقفوا وقفة الحائر بل سقطوا فيما لا منجى لهم منه . ان الخطر كل الخطر في سكوت العثمانيين عن طلب حقوقهم وليس من الراي ان يخاطروا بانفسهم ثقة بمواعيد الانكليز وفي علمهم ان لا وفاء لها . فهذا هو الوقت الذي يتمكنون فيه من اعادة سلطتهم في القطر المصري الى اعالي السودان وفي ذلك صيانة ممالكهم من العدوان ولا يرضى بفوات هذه الفرصة الا من اسلم نفسه للموت والقى بها الى التهلكة . هذا ما يثبته العيان ولا يختلف فيه اثنان . فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم

تلك ايات الكتاب الحكيم تهدي الى الحق والى صراط مستقيم

ولا يرتاب فيها الا القوم الضالون . هل يخلف الله وعده ووعيده وهو اصدق من وعد واقدر من اوعد هل كذب الله رسله هل ودع انبياءه وقلاهم هل غش خلقه وسلك بهم طريق الضلال * نعوذ بالله* هل انزل الايات البينات لغواً وعبثاً هل افترت عليه رسله كذباً هل اختلقوا عليه افكاً هل خاطب الله عبيده برموز لا يفهمونها واشارات لا يدركونها هل دعاهم اليه بما لا يعقلون * نستغفر الله * اليس قدانزل القرآن عربياً غير ذي عوج وفصل فيه كل امر واودعه تبياناً لكل شيء* تقدست صفاته وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً * هو الصادق في وعده ووعيده ما اتخذ رسولاً كذاباً ولا اتى شيئاً عبثاً وما هدانا الا سبيل الرشاد ولا تبديل لاياته تزول السموات والارض ولا يزول حكم من احكام كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

يقول الله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ويقول ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وقال ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً * هذا ماوعد الله في محكم الايات مما لا يقبل تأويلاً ولا ينال هذه الايات بالتاويل الا من ضل عن السبيل ورام تحريف الكلم عن مواضعه . هذا عهده الى هذه الامة المرحومة ولن يخلف الله عهده وعدها بالنصر والعزة وعلو الكلمة ومهد لها سبيل ما وعدها الى يوم القيامة وما جعل لمجدها امداً ولا لعزتها حداً

هذه امة انشاها الله عن قلة ورفع شانها الى ذروة العلا حتي ثبتت اقدامهـا عَلَى قنن الشامخات ودكت لعظمتها عوالي الراسيات وانشقت لهيبتها مرائر الضاريات وذابت للرعب منها اعشار القلوب · هال ظهورها الهائـل كل نفس وتحير في سببه كل عقل واهتدى الى السبب اهل الحق فقالوا * قوم كانوا مع الله فكان الله معهم* جماعة قاموا بنصر الله واسترشدوا بسنته فامدهم بنصر من عنده * هذه امـة كانت في نشأتها فاقدة الذخائر معوزة من الاسلحة وعدد القتال فاخترقت صفوف الامم واختطت ديارها ولا دفعتها ابراج المجوس وخنادقهم ولا صدتها قلاع الرومان ومعاقلهم ولا عاقها صعوبة المسالك ولا اثر في همتها اختلاف الاهوية ولا فعل في نفوسها غزارة الثروة عند من سواها ولا راعها جلالة ملوكهم وقدم بيوتهم ولا تنوع صنائعهم ولا سعة دائرة فنونهم ولا عاق سيرها احكام القوانين ولا تنظيم الشرائع ولا تقلب غيرها من الامم في فنون السياسة * كانت تطرق ديار القوم فيحقرون امرها ويستهينون بها وما كان يخطر ببال احد ان هذه الشرذمة القليلة تزعزع اركان تلك الدول العظيمة وتمحو اسماءها من لوح المجد وما كان يختلج بصدر ان هذه العصابة الصغيرة تقهر تلك الامم الكبيرة وتمكن في نفوسها عقائد دينها وتخضعها لاوامرها وعاداتها وشرائعها لكن كان كل ذلك ونالت تلك الامة المرحومة على ضعفها ما لم تنله امة سواها · نعم قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليـه فوفاهم اجورهم مجداً في الدنيا

وسعادة في الاخرة

هذه الامة يبلغ عددها اليوم زهاء مائتي مليون من النفوس واراضيها آخذة من المحيط الاتلانتيكي الى احشاء بلاد الصين تربة طيبة ومنابت خصبة وديار رحبة ومع ذلك نرى بلادها منهوبة واموالها مسلوبة . تتغلب الاجانب عَلَى شعوب هذه الامة شعبا شعبا ويتقاسمون اراضيها قطعة بعد قطعة ولم يبق لها كلمة تسمع ولا امر يطاع حتى ان الباقين من ملوكها يصبحون كل يوم في ملمة ويمسون في كربة مدلهمة . ضاقت اوقاتهم عن سعة الكوارث التي تلم بهم وصار الخوف عليهم اشد من الرجاء لهم * هذه هي الامة التي كانت الدول العظام يؤدين لها الجزية عن يد وهن صاغرات استبقاء لحياتهن وملوكها في هذه الايام يرون بقاءهم في التزلف الى تلك الدول الاجنبية . يالله المصيبة ويالله الرزية اليس هذا بخطب جلل اليس هذا ببلاء نزل ما سبب هذا الهبوط وما علة هذا الانحطاط . هل نسيء الظن بالوعود الالهية معاذ الله هل نستيئس من رحمة الله ونظن ان قد كذب علينا . نعوذ بالله . هل نرتاب في وعده بنصرنا بعد ان ما اكده لنا . حاشاه سبحانه * لا كان شيء من ذلك ولن يكون فعلينا ان ننظر الى انفسنا ولا لوم لنا الا عليها * ان الله تعالى برحمته قد وضع لسير الامم سنناً متبعة ثم قال ولن تجد لسنة الله تبديلاً

ارشدنا سبحانه في محكم آياته الى ان الامم ما سقطت من عرش عزها ولا بادت ومحي اسمها من لوح الوجود الا بعد نكوبها عن تلك

السنن التي سنها الله عَلَى اساس الحكمة البالغة . ان الله لايغير مابقوم من عزة وسلطان ورفاهة وخفض عيش وامن وراحة حتى يغير اولئك القوم مابانفسهم من نور العقل وصحة الفكر واشراق البصيرة والاعتبار بافعال الله في الامم السابقة والتدبر في احوال الذين جادوا عن صراط الله فهلكوا وحل بهم الدمار ثم الفناء لعدولهم عن سنة العدل وخروجهم عن طريق البصيرة والحكمة . حادوا عن الاستقامة في الراي والصدق في القول والسلامة في الصدر والعفة عن الشهوات والحمية عَلَى الحق والقيام بنصره والتعاون عَلَى حمايته . خذلوا العدل ولم يجمعوا هممهم عَلَى اعلاء كلمته واتبعوا الاهواء الباطلة وانكبوا عَلَى الشهوات الفانية واتوا عظائم المنكرات . خارت عزائمهم فشحوا ببذل مهجهم في حفظ السنن العادلة واختاروا الحياة في الباطل عَلَى الموت في نصرة الحق فاخذهم الله بذنوبهم وجعلهم عبرة للمعتبرين * هكذا جعل الله بقاء الامم ونماءها في التحلي بالفضائل التي اشرنا اليها وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها . سنة ثابتة لاتختلف باختلاف الامم ولا تتبدل بتبدل الاجيال كسنته تعالى في الخلق والايجاد وتقدير الارزاق وتحديد الاجال علينا ان نرجع الى قلوبنا ونمتحن مداركنا ونسبر اخلاقنا ونلاحظ مسالك سيرنا لنعلم هل نحن على سيرة الذين سبقونا بالايمان هل نحن نقتفي اثر السلف الصالح هل غير الله مابنا قبل ان نغير مابانفسنا وخالف فينا حكمه وبدل في امرنا سننه حاشاه وتعالى عما

يصفون بل صدقنا الله وعده حتى اذا فشلنا وتنازعنا في الامر وعصيناه من بعد ماارى اسلافنا مايحبون واعجبتنا كثرتنا فلم تغن عناشيئافبدل عزتا بالذل وسمونا بالانحطاط وغنانا بالفقر وسيادتنا بالعبودية . نبذنا اوامر الله ظهريا وتخاذلنا عن نصره فجازانا بسوء اعمالنا ولم يبق لنا سبيل الى النجاة سوى التوبة والانابة اليه * كيف لانلوم انفسنا ونحن نرى الاجانب عنا يغتصبون ديارنا ويستزلون اهلنا و يسفكون دماء الابرياء من اخواننا ولا نرى في احد منا حراكا .

هذا العدد الوافر والسواد الاعظم من هذه الملة لايبذلون في الدفاع عن اوطانهم وانفسهم شيا من فضول اموالهم يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة كل واحد منهم يود لو يعيش الف سنة وان كان غذاؤه الذلة وكساؤه المسكنة ومسكنه الهوان * تفرقت كلمتنا شرقا وغربا وكاد يتقطع مابيننا لايحن اخ لاخيه ولا يهتم جار بشأن جاره ولا يرقب احدنا في الاخر الا ولا ذمة ولا نحترم شعائر ديننا ولاندافع عن حوزته ولا نعزره بما نبذل من اموالنا وارواحنا حسبما امرنا* ايحسب اللابسون لباس المؤمنين ان الله يرضى منهم بما يظهر على الالسنة ولا يمس سواد القلوب هل يرضى الله عنهم بان يعبدوه على حرف فان اصابهم خير اطمانوا به وان اصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم خسروا الدنيا والاخرة هل ظنوا ان لا يبتلي الله مافي صدورهم ولا يمحص ما في قلوبهم الا يعلمون ان الله لايذر المؤمنين على ماهم عليه حتى يميز

الخبيث من الطيب • هل نسوا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم للقيام بنصره واعلاء كلمته لايبخلون في سبيله بمال ولا يشحون بنفس فهل لمؤمن بعد هذا ان يزعم نفسه مؤمنا وهو لم يخط خطوة في سبيل الايمان لابماله ولا بروحه انما المؤمنون هم الذين اذا قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم لايزيدهم ذلك الاايمانا وثباتا و يقولون في اقدامهم حسبنا الله ونعم الوكيل • كيف يخشى الموت مؤمن وهو يعلم ان المقتول في سبيل الله حي يرزق عند ربه متمتع بالسعادة الابدية في نعمة من الله ورضوان كيف يخاف مؤمن من غير الله والله يقول فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين •

فلينظر كل الى نفسه ولا يتبع وساوس الشيطان وليمتحن كل واحد قلبه قبل ان يأتي يوم لاتنفع فيه خلة ولا شفاعة وليطبق بين صفاته و بين ماوصف الله بـــه المؤمنين وما جعله الله من خصائص الايمان فلو فعل كل منا ذلك لرأينا عدل الله فينا واهتدينا • ياسبحان الله ان هذه امتنا امة واحدة والعمل في صيانتها من الاعداء اهم فرض من فروض الدين عند حصول الاعتداء • يثبت ذلك نص الكتاب العزيز واجماع الامة سلفا وخلفا فما لنا نرى الاجانب يصولون على البلاد الاسلامية صولة بعد صولة ويستولون عليها دولة بعد دولة والمتسمون بسمة الاسلام آهلون لكل ارض متمكنون بكل قطر ولا تاخذهم على الدين نخوة ولا تستفزهم للدفاع عنه حمية * الا يا اهل القرآن لستم

على شي حتى تقيموا القرآن وتعلموا بما فيه من الاوامر والنواهي وتتخذوه أماما لكم في جميع اعمالكم مع مراعاة الحكمة في العمل كما كان سلفكم الصالح الا ياهل القرآن هذا كتابكم فأقراوا منه فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت . الا تعلمون فيمن نزلت هذه الاية نزلت في وصف من لاايمان لهم . هل يسر مؤمنا ان يتناوله هذا الوصف المشار اليه بالايه الكريمة او غير كثيراً من المدعين للايمان مازين لهم من سوء اعمالهم وما حسنته لديهم اهواؤهم . افلا يتدبرون القرآن ام عَلَى قلوب اقفالها .

اقول ولا اخشى نكيرا لايمس الايمان قلب شخص الا ويكون اول اعماله تقديم ماله وروحه في سبيل الايمان . لايراعى في ذلك عذرا ولا تعلة وكل اعتذار في القعود عن نصرة الله فهو اية النفاق وعلامة البعد عن الله . وها نحن نرى الانكليز دخلوا ارض مصر واخذوا يجولون في اطرافها ويمهدون السبل لامتلاكها ومع ذلك لاترى من اهاليها اقداما فعليا لمصادمة القوة الانكليزية مع ان كل واحد منهم يزعم نفسه في اعلى درجات الايمان . ويزيد المتعجب عجبا ان مصر يسكنها من المسلمين اقوام مختلفة الشعوب والاجناس . الا يوجد حلبي يكون اية لما كان عليه اسلافنا ودليلا عَلَى ان تلك الروح الطيبة لم تنزع منا وان النيرة والحمية وشهامة الايمان لم يزل لها مقام من نفوسنا لاريب

عندنا ان اية حركة جزئية كانت او كلية في اي قطر من الاقطار التي لها تعلق بحكومة الانكليز يوجب احباط اعمالها وتنكيس اعلامها وخيبة امالها . اما لو فاتت المسلمين هذه الربكة التي يعاني الانكليز مايعانون فيها فليستروا وجوههم بقناع الخجل ولا يغشوا انفسهم بدعوى الايمان واتباع القرآن فانما هي الفاظ على طرف اللسان لاتحكي عن عقيدة في الجنان

مع هذا كله نقول ان الخير في هذه الامة الى يوم القيامة كما جاءنا به نبا النبوة وهذا الانحراف الذي نراه اليوم نرجو ان يكون عارضا يزول ولو قام العلماء الاتقياء وادوا ما عليهم من النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين واحيوا روح القرآن وذكروا المؤمنين بمعانيه الشريفة واستلفتوهم الى عهد الله الذي لايخلف لرأيت الحق يسموا والباطل يسفل ولرأيت نوراً يبهر الابصار واعمالاً تحار فيها الافكار وان الحركة التي نحسها من نفوس المسلمين في اغلب الاقطار هذه الايام تبشرنا بان الله قد اعد النفوس لصيحة حق يجمع بها كلمة المسلمين ويوحد بها بين جميع الموحدين ونرجو ان يكون العمل قريباً فان فعل المسلمون واجمعوا امرهم للقيام بما اوجب الله عليهم صحت لهم الاوبة ولصحت منهم التوبة وعفى الله عنهم والله ذو فضل على المؤمنين فعلى العلماء ان يسارعوا الى هذا الخير وهو الخير كله جمع كلمة المسلمين والفضل كل الفضل لمن يبدا منهم العمل ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا

اللهمّ اكشف عن بصائرنا ستار الاوهام حتى
نرى الحقائق كما هي كيلا نضل ونشقى

الا قاتل الله الوهم الوهم طوراً يكون مرآة المزعجات ومجلى المفزعات وطوراً يكون ممثلاً للمسرات حاكياً للمنعشات وهو في جميع اطواره حجاب الحقيقة وغشاء على عين البصيرة لكن له سلطان عَلَى الارادة وحكم على العزيمة فهو مجلبة الشر ومنفاة الخير الوهم يمثل الضعيف قوياً والقريب بعيداً والمأمن مخافة والموئل مهلكاً الوهم يذهل الواهم عن نفسه ويصرفه عن حسه يخيل الموجود معدوماً والمعدوم موجوداً . الوهم في كون غير موجود وعالم غير مشهود يخبط فيه خبط المصروع لا يدري ماذا ادركه وماذا تركه . الوهم روح خبيث يلابس النفس الانسانية وهي في ظلام الجهل . اذا خفيت الحقائق تحكمت الاوهام وتسلطت عَلَى الارادات فتقود الواهمين الى بيداء الضلالة فيخبطون في مجاهيل لا يهتدون الى سبيل ولا يستقيمون على طريق

كان الانكليز امة مجتمعة القوى مستكملة العدد مستعدة للفتوحات وذلك في زمان بليت فيه الامم الشرقية بتفريق الكلمة واختلاف الاهواء وحجبت بالجهل عن معرفة احوال الغربيين وصنائعهم وعوائدهم فكان الشرقيون يعدون كل غريبة معجزة وكل بديع من الاختراع سحرا او كرامة فانتهز الانكليز تلك الفرصة واندفعوا الى الشرق وبسطوا سلطتهم عَلَى

غالب ارجائه ومادهموا سكانه الا ببعض غرائب الصنعة الاوربية التي اثارت فيهم خواطر الاوهام ثم زاد الوهم قوة مانصبه الانكليز من حبائل الحيلة والمكر حتى خلبوا قلوب المساكين واذهلوهم عما في ايديهم بل اخذوهم عن عقولهم وخطرات قلوبهم فسلبوا اموالهم وانتزعوا منهم اراضيهم واجلوهم عن املاكهم فاستغنت الامة الانكليزية بما سلبت واثرت بما نهبت وترفهت بما ملكت واليوم تراها حاكمة عَلَى اقطار واسعة وانحاء شاسعة وقواها منقسمة عَلَى تلك الاقطار متوزعة فيها فلا ترى في كل ايالة من ايالاتها الشرقية الانزر من العدد والعدد وهي في جميعها ضعيفة واهنة لاتستطيع ذودا ولا دفاعا وان اخف حركة في تلك الانحاء توجب زعزعة في تلك القوة او هدمها بالمرة وقد ظهر هذا الامر عَلَى انفس الامة الانكليزية فهي دائمًا في رجفة عَلَى املاكها في خيفة من تمزقها وضياعها تتوجس من كل حادثة في العالم وتقلق لاية حركة تحدث في الوجود . وكل ملمة تلم بالشرق او الغرب توجب بحدوثها زلزلة في قوى الانكليز المتوزعة في الانحاء الضعيفة في جميع الارجاء .

ومع هذا كله نرى الامر لم يزل خفيا على الشرقيين محجوبًا عنهم بحجاب الوهم يمثل الوهم لكل شرقي ان الانكليز عَلَى ماكانوا عليه في ماضي زمانهم فمثل الشرقيين مع الانكليز كمثل مار في مفازة يرى بها جثة اسد مطروحة عَلَى طريقه فاقدة الحياة عديمة الحراك فيتوهمها

سبعاً ضاريا ومفترسا قويا فينكب عن الطريق وهما وريبة بدون تحقيق لما تخوف منه · يرتعد و يسقط و يموت خوفا او يضل بعد ذلك عن الجادة وتشبه عليه مسالك الوصول الى غايته وربما صادف مهلكة في ضلاله ومتلفه في غيه · بل لانخطي ان قلنا ان هذا الوهم كان متسلطا على الغربيين كما هو متسلط عَلَى الشرقيين فالاوربيون كانوا ينظرون الى انكلترا في املاكها البعيدة كما ينظرون اليها في جزائر بريطانيا وكانت حكومة انكلترا متحصنة ممتنعة في هذه القبة الوهميه متربعة على عرش هذه العظمة الخيالية · يحس الانكليز بضعف قوتهم فيجتهدون دائما في ستره ولا ستارا اكثف من الوهم ولهذا نراهم في كل حادثة يجلبون ويصيحون ويزارون ليثيروا بالضوضاء هو اجس الاوهام فتحول انظار الناظرين وتغشى بصائر المستبصرين فتحول دون استطلاع الحقيقة والاقليل من الالتفات يكشفها فتقوم قيامة الخراب عَلَى الانكليز

ذهب الانكليز الى الهند في قوى مجتمعة وتسابقوا مع الفرنساويين وهولاندا والبورتغال في مدان الاراضي الهندية الواسعة فحازوا في هذه المباراة قصب السبق بما امتازوا به من الدهاء والمكر وبما ساعدهم عَلَى ذلك من غفلة الهنديين لذاك العهد او طيب قلوبهم فمالت النفوس الى الانكليز اغترارًا وتغلبوا على تلك البلاد واستقلوا بامرها شيئاً فشيئاً وما ابقوا لغيرهم من الدول الا مضائق من الارض لا تذكر · واول ما استمالوا به القلوب السالمة قولهم اننا نريد تخليصكم من هذه الدول الظالمة

(فرانسا وهولاندا وبورتغال) فانها تريد التسلط على ممالككم اما نحن (الانكليز) فلا نريد الا تحريركم واستقلالكم . ثم انا نرى للانكليز الان في الهند الاصلية والهند الصينية والبرمان سلطة على نحو مائتين وخمسين مليوناً من النفوس جميعها كاره لتلك السلطة الانكليزية طالب للتخلص منها بفضل اية سلطة سواها ظالمة كانت او عادلة كانما يتصور كل واحد من افراد تلك الامم انه لا توجد حكومة في العالم تبلغ في ظلمها مبلغ الانكليز ولا تصل الى ما وصل اليه الانكليز في الكبرياء والجبروت . ولكن مع هذه البغضاء الآخذة بقلوب اولئك الرعايا ومع سعة ديارهم وتباعد ارجائها وشدة ميلهم للتملص من تلك السلطة الظالمة لا يوجد فيهم قوة تقهرهم على الخضوع لتلك الحكومة المبغوضة الا خمسون الف جندي انكليزي . مع انه يوجد من الممالك الصغيرة التي لها نوع من الاستقلال وتخشى زوال ما بقي لها ما لو جمعت قواها لبلغت ازيد من ثلاثمائة الف جندي هذا فضلاً عمن يمكنه حمل السلاح من اهالي البلاد التي دخلت في الحكومة الانكليزية وزال استقلالها بالمرة . فلولا الوهم الذي استولى على المشاعر والحواس حتى اذ هلها عما بين يديها بل عما هو موجود فيها مابقيت هذه النفوس الكثيرة العدد الفائقة القوة في قبضة قوم ضعاف يسومونهم عذاب الذل والهوان ولو لمح اولئك المساكين انفسهم لمحة اعتبار وادركوا ما اتاهم الله من القوة الطبيعية ونظروا الى ضعف الانكليز في الحالة الحاضرة لراوا موئل

الخلاص بين ايديهم وملجا النجاة تحت ارجلهم وعلموا ان استقلالهم لانفسهم وبلادهم لا يحتاج الى تجشم تعب ولا تكلف مشقة ولا يدعو الى بذل اموال وافرة ولا سفك دماء غزيرة ٠

يوجد في الدول الاوربية من يهاب دولة الانكليز اعتبارا لما في سلطتها من الممالك الواسعة والامم العظيمة مما لم يبلغ عده رعية دولة من الدول ويقيس شانها وقوتها في تلك الاطراف القاصية بما يراه في جزائر بريطانيا ويظن ان لها قدرة على الدفاع عن تلك الممالك تساوى قدرتها عليه في بريطانيا او تقرب منها ٠ ولم يلتفت الى ان جسم الانكليز قد مد في الطول والعرض الى حد لو حصلت فيه ادنى هزة لتقطعت اوصاله (رق حتى انقطع) ٠ تفرقت قواهم في بسيط الارض حتى لم تبق لهم في موضع قوة ورعاياهم في كل صقع في ضجر لا مزيد عليه يترقبون في كل آن زحفا من خارج يعينهم على ما يقصدون من النكاية بحكامهم الظالمين ٠ لو التفتت تلك الدولة التي تهاب انكلترا الى حقيقة الامر لما احتاجت في معارضتها ومنازلتها الى تدبر ولا مشورة فقد وصل الامر من الظهور الى حدلا يحتاج الى دقة الفكر لولا حجاب الوهم ٠ قاتل الله الوهم ٠

ان العثمانيين ينظرون الى دولة الانكليز كما ينظرون الى دولة الروس مع ملاحظة ان دولة انكلترا تحكم على مائتين وخمسين مليونا من النفوس فيظنون لهذا النظر ان معارضة هذه الدولة ربما تجلب الضرر

وليتهم مدوا انظارهم الى ماوراء ذلك ليتبين لهم قوتها العسكرية وماذا يمكنها ان تسوق من الجنود الى ميادين القتال ويتضح لهم ان هذه الملايين الكثيرة لااعتداد بها في قوة دولة انكلترا فانما هي في الحقيقة قوة لاعدائها عليها وهي في ارتقاب الفرص لخلع طاعتها فمتى ارتبكت دولة انكلترا بالحرب مع دولة اخرى رأيت مائتين وخمسين مليونا تقاتل عساكر الانكليز خصوصاً خمسين مليوناً من المسلمين في حكومة انكلترا يعدون الدولة العثمانية قبلة لهم وملاذا يلجون اليه وهم اول قوم حربيين في البلاد الهندية. ليت العثمانيين يعلمون ان دولة انكلترا انما تستميل المسلمين في الهند وبكونها حليفة الدولة العثمانية ونصيرة لها ومدافعة عن حقوقها. اما والله لوعلم العثمانيون مالهم من السلطة المعنوية على رعايا الانكليز واستعملوا تلك السلطة استعمال العقلا لما تجرعوا مرارة الصبر عَلَى تحكمات الانكليز وحيفهم في اعمالهم وتعديهم عَلَى حقوق السلطان في مثل المسئلة المصرية التي هي في الحقيقة اهم مسئلة عثمانية او اسلامية.

ان سكنة مصر كانوا ايام عرابي عَلَى قسمين قسم يروم حفظ الحالة القديمة والوقوف عند ما يرسم به توفيق باشا وقسم كان يميل باحد جانبيه الى عرابي ويهاب بالجانب الآخر سلطة الرسم القديم. فكان هذا القسم الثاني في ريبة من امره. ولا عزيمة من الريب. والقسم الاول مخلد الى الفشل فدخل الانكليز بلا حرب حقيقية. نوع من الترهيب وقليل من الترغيب وخفيف من الدسائس. صادف قلوباً مستعدة

فاخذ منها مقاماً فانحات الرابطة وتفرق الناس عن عرابي بزوال جانب الميل اليه من قلوبهم · ومع ذلك ما كان يعتقد واحد منهم ان الانكليز يبتغون من البلاد شيئاً سوى انهم يؤيدون توفيق باشا وينقذونه من الثائرين عليه فتساهل المصريون في الامر بحسن ظنهم في حكومة الانكليز مع ما جاءتهم من الحجة القوية القائمة عَلَى ان صاحب السيادة الشرعية في رضاء عن تصرفها بهذا فاز الانكليز واستقرت اقدامهم اما وقد مضي الزمان الكافي لظهور غدرهم وسوء نيتهم فلا يوجد من الاهالي المصريين من يميل اليهم بل لايوجد الا من يبغضهم ويتمنى فناءهم ويود لو يعمل عملاً لهلاكهم ولكن الوهم يجسم المخافة ويكبح العزيمة ان اهالي مصر كانهم ذهلوا عن الاسباب التي مكنت الانكليز من بلادهم كانهم يظنون ان المصريين كانوا عَلَى كلمة واحدة في مدافعة الانكليز ثم تغلبت عليهم القوة الانكليزية وقهرتهم جميعاً · كان المصريين نسوا ما كان بينهم وان الانكليز ما دخلوا بلادهم الا بمعونتهم · هذا هو الوهم العجيب · ان الذين كانوا من مدة سنتين سبباً في تغلب العساكر الانكليزية وحلولها في وادي النيل وانه لولاهم ما استقر لها قدم فيه يظنون الآن ان تلك العساكر قادرة عَلَى قهر الاهالي عموماً واخضاعهم لحكومة بريطانيا · وبهذا الظن الباطل يستسلمون لاعدائهم كرهاً ويجارونهم في اهوائهم نفاقاً · هلا ينظر المصريون نظرة متأمل الى القوة الانكليزية ليعلموا ان ليس في طاقة بريطانيا لو افرغت جهدها ان

تبعث الى مصر والسودان ازيد من عشرين الف جندي . الا يعلمون انه اذا اشتغل الجند الانكليزي بالسودان وحصلت حركة خفيفة في الشرقية والبحرية والفيوم لارتبك الانكليز وخارت عزائمهم والتجأوا لترك البلاد لاهلها . الا قاتل الله الوهم .

ان للانكليز قوة حربية بحريـة لاتنكر ولكن مبلغ تلك القوة البحرية هو الذي ظهر اثره في سواكن . لايمكن ان تعمل عملا فيما يبعد عن البحر اكثر من فرسخين فلو فرضنا ان الانكليز اطلقوا قنابرهم عَلَى السواحل فهل في استطاعتهم ان يقيموا تحت ظلال القنابر الى ابد الابدين اذا كان الاهالي في داخل البلاد يناوئهم وليس لهم من القوة العسكرية البرية مايقهرهم عَلَى الطاعة . ليس في الامر شيء سوى الوهم هذا الوهم تمزقت حجبه عن بصائر الغربيين فعلموا ماهو الانكليز . ضعيف يسطوا عَلَى حقوق الاقوياء . صوت عال وشبح بال . قامت الدول عَلَى معارضتهم لعلمها ان الانكليز صاروا للامم كالدودة الوحيدة على ضعفها تفسد الصحة وتدمر البنية . لكن بقي ان يزول هذا الوهم عن الشرقيين حتى يستفيدوا من هذه الحركات ويستقلوا بامورهم ولا ينتقلوا من عبودية الى اخرى ولا يستبدلوا سيدا اجنبياً بسيد اخر . اللهمّ ارفع عنا حجب الاوهام وهيء لنا الرشد في امورنا واحفظنا من الغواية واهدنا الى خير نهاية .

باريس

يوم الخميس في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١ و ١٦ اكتوبر سنة ١٨٨٤

قامت الدول الاوربية كافة عَلَى المطالبة بحقوقها واعنات الانكليز في مصر خصوصاً دولتي فرانسا والمانيا وكلهن يطالبن انكلترا بانجاز وعودها ويقمن الحجة عليها في اعمالها بمصر عَلَى كيفيات مختلة ومن وجوه متعددة · ومحمد احمد واتباعه قد فرغوا من اعمالهم الزراعية واحرزوا غلتهم وهيئوا مونهم وجندوا الجنود الكثيفة وقصدوا اطراف دوصد وبربر وفي الاخبار الاخيرة انهم سيرواجيشين عَلَى طريقين احدهما يزحف من الصحراء والاخر عَلَى خط النيل · والقلق والاضطراب وضيق الحال واختلال الامن تزداد في مصر كل يوم حتى صار يخشى من فتنة عامة خصوصاً بعد ما احس الناس بسوء نية الانكليز ويمد هذه الافكار ما فشى بين العساكر والعامة من ان السلطان غير راض عن اعمال الانكليز في مصر ولا هو مرتاح لزحفهم عَلَى السودان وبوده لو يصادفون مقاومة لا يخطون بها خطوة · ونزول ماء النيل وفقدان وسائل النقل ووعر الطريق وبعد المسافة كل هذا اطفا تلك الحرارة التي كانت تطير بالعساكر الانكليزية الى خرطوم باسرع من حركة البخار لانقاذ كوردون كما يزعمون او تملك خرطوم كما هو حقيقة القصد · وانقلاب قلوب المندبين عَلَى حكامهم الانكليز وظهور تلك الضغائن مع العجز عن سترها خصوصاً من النوابين والرجوات الذين يتوجسون الشر من وثبات الحكومة الانكليزية عليهم وهم الان في ضجر شديد من تضييقها وتشديدها في مراقبة اعمالهم وهم عَلَى صورة الاستقلال حتى ان بعضاً منهم ومن اعيان الاهالي المندبين بعثوا باناس الى سرخس ومرو واشقاباد عَلَى ما بلغنا ليعرضوا اخلاصهم ويتبينوا يوم خلاصهم · ذلك كله احدث قلقاً واضطراباً

في افكار سياسيي الانكليز واختباطاً في سيرهم فمن جهة يريدون ستر خجلهم من الاعمال المصرية مع قضاء بعض اوطارهم فيطلبون الى الدول تشكيل مراقبة عمومية وترك مصر وشانها مع بقاء شرذمة من عساكرهم في وادي حلفا لصيانة الحدود المصرية بعد طرد الجند الوطني (كما صانوا سائر الممالك الهندية بامثال هذه الشرذمات) ويتوهمون انهم يلهون الدول بهذه الاضحوكة ومن جهة اخرى يبتغون اقناع انفسهم واقناع الامة الانكليزية باوهام خيالية وترهات صبيانية يجعلونها اساساً لسياستهم في الممالك الهندية . من ذلك ما اعتمده اللورد دوفرين (ذلك السياسي المشهور الذي افسد شؤن مصر) قاعدة متينة لصون الممالك الهندية بعد ان عين حكمداراً عليها . قال في مقال القاه في بال فاست انه يعد نفسه سعيداً بمعرفته الخصوصية لموسيو جيرس وزير خارجية الروسية ثم اثنى علية بحدة تنبي عن الاخلاص وقال اني ارى لموسيو جيرس رغبة صادقة في حصول المصافات بين الروسية والانكليز ورفع الشقاق بينهما وبالغ في القول حتى قالت جريدة المومير يال دو بلماتيك بعد ذكر تهنئة الروسية للورد دوفرين على الوظيفة الجديدة ان اللورد مكلف بعقد وفاق تعين به مهلة لتلاطم الدولتين المتنازعتين في آسيا الوسطى بعد تحديد تخوم افغانستان من طرف الشمال . هذا ما اندفع اليه جناب اللورد بقوة الاضطراب وشدة الشغف بتسكين خواطر الشعب الانكليزي وتغرير العقول في الهند وارضاء القلوب عن سياسة الحكومة وربما ارضاء نفسه ايضاً . والقاري يعلم من هذه الحالة مقدار العجز الملم بسياسيي بريطانيا حيث طفقوا يجعلون من مباني سياستهم في الشرق ممارفة شخصية بين حاكمهم في الهند وبين وزير الروسية . مع ان الروسية لم تخط خطوة في الشرق الا وغايتها الهند ولم تتقدم قدماً اليه الا بعد عهد ينكث وميثاق ينقض فان حلف وزير الروسية للورد هذه المرة فلا يختلف هذا اليمين عن الايمان السابقة على ان المحبة الشخصية لا قيمة لها في السياسات الكلية وما سرور الانكليز بها الا من آثار الذهول وسرسام العقول

واعجب عن هذا ان غلادستون يرفع صوته بين شعبه بقوله ان من ضعف

العقل ان يظن الوهن في امبراطورية الانكليز او يترقب بها الضعف في المستقبل وان بسطة الدول مما يوجب بسطة انكلترا . عجباً . اذا انبسطت الروسية الى الهند فالى اين تنبسط انكلترا . اظنها تنقبض لا تنبسط . ويقول ان يوماً تشعرون فيه بالخوف لبعيد وليس بقريب . سبحان الله الروسية وضعت يدها على باب الهند (سرخس) وشهرتها عمت الانحاء وقلوب اهليهِ ميالة اليها وهي لانتهاب الانكليز ولا تثوانى في سيرها فاي يوم يشعر فيه بالخوف بعد يومه هذا كان الوزير لا يحس بالخطر حتى تحل الروسية في بنجاب او تصل الى نهر السند

لا جرم ان الارتباك يضل بالانسان عن رشده . ومن المضحكات ما ذهبت اليه جريدة البال مال من ان هذا الكلام من غلادستون يدل على ثقة جديده منه بالدول بعد مفاوضات حل بها المشكلات . وان من له ادنى المام بحال الانكليز في ممالك الهند وضعف عسكر يتهم وتوزع اساطيلهم لحفظ سائر املاكهم ونفرة الرعايا الشرقيين منهم مع تالب الدول عليهم وتقدم الروسية الى الهند يوماً بعد يوم يحكم بان قد حل اجلهم وقرب يوم يهدم فيه سلطانهم و يتقلص ظل سلطتهم في المشرق ويهزأ بما يقول غلادستون (ان امبراطورية انكلترا تزداد قدرتها بتجدد الايام) . ومن راي العقلاء انه لو تقدم محمد احمد وساعده اهل الشهامة من الصعيد والشرقية والبحيرة في مصر وخاب امل الانكليز في حملتهم وقامت الفتنة في الهند وتقدمت الروسية وخلصت النفوس من رق العبودية وقضى الامر وقيل بعداً للقوم الظالمين

الحق

اعتدى على الحق جاهل فنال نكاله . ينتصر الحق و يخذل الباطل وان طاوله الكرم وامهله العفو ومده الغرور .

عما ء بعض الناس في مصر او تعاميهم عن مقاصد الانكليز فيها

تسعى حكومة بريطانيا بكل ما في وسعها لتوقيف دفع الاستهلاك وتنقيص فائدة الدين المصري ويعارضها في ذلك سائر الدول الاوربية العظيمة. هل الدولة الانكليزية هي اشد الدول رحمة عَلَى العالمين عموماً وعَلَى المصريين خصوصاً فدعتها الرحمة للقيام على هذا العمل قصداً لراحة المصريين وتخفيفاً لثقل الدين عن الخزينة المصرية وتوسلاً لرفاهة الاهالي وتوسيع دائرة ثروتهم. او ان هذه الدولة لم تبالغ في الشفقة وهي عَلَى حد الاعتدال في الطلب ولكن الدول تجاوزوا القسط في القسوة خشونة وغشمرة او لعداوة خصوصية بينهم وبين المصريين لهذا لا يريدون تخفيف شيء من اثقالهم. او انها اطلعت عَلَى احوال المصريين وكشفت حقيقة ماهم عليه وعلمت عجزهم عن الوفاء مما عليهم وخفيت هذه الحقيقة عَلَى سائر الدول فرأت حكومة بريطانيا ان تخبر الدول بما وقفت عليه قياماً بخدمة الصدق وانما ارضها من سواها جهلاً بواقع الامر. لا. لا

ليس شيء من ذلك. من ساح في المستعمرات الانكليزية كالبلاد الهندية ونحوها تبين له ان الاهالي في تلك الممالك حملوا من اثقال الضرائب واوقار الرسوم الدائمة والموقتة ما لا يعرف له غاية ولا يؤخذ فيه بقياس حتى سقطوا في مهواة من الفقر لا يجدون منها خلاصاً يوجد

ملايين من اهل الهند يقتاتون بالاعشاب البرية لفقدان اقوات الانس مع خصوبة اراضيهم وجودة منابتهم . فهل يصح لعاقل ان يظن بعد هذا ان الانكليز ضنوا برحمتهم على رعاياهم الهنديين وافاضوا فيضها على المصريين اي رابطة بين المصريين والجنس البريطاني تدعو الى هذا الاختضاص هل يصح ان يقال ان الامة الفرنساوية مع مالها من سابق الاثار في مصر تعادي المصريين وتقسوا عليهم وتطلب تنكيلهم حقداً وانتقاماً وهذا هو ما يحملها على المعارضة في تخفيف الفوائد وتوقيف الاستهلاك قصد الاضرار بالمصريين ووافقها على ذلك الدول الباقية هذا مما لا يعقل فان في مصر ما يستميل الدول اليها لا ما يبعثها على الانتقام منها كما لا يعقل ان وكلاء السياسة في مصر ومديري خزينة الدين من رجال الدول العظام قد خفي عليهم حال المصريين وشؤن ماليتهم وتفرد الانكليز بعلمها من بين سائر الامم على ان من يزعم ان ارض مصر فقيرة في ثروتها قاصرة عن اداء ما اوجبه عليها عهد الدول فقد افترى كذباً فان مصر قد قامت بوفاء ما طلب منها ايام وزارة رياض باشا احسن قيام مع غاية السعة وارتياح الاهالي الى تأدية الضرائب بانواعها ومسرتهم التامة من تقسيم المطلوبات على حسب المواسم الزراعية وهكذا استمر الحال بعد رياض باشا على الاساس الذي وضع في عهده الى ان زحفت انكلترا بجيش من دسائسها على تلك النفوس المطمئنة فاقلقتها وتلك الارواح الساكنة فاثارتها فما تبتغي

انكلترا الان من الالحاح عَلَى تنقيح قانون التصفية وتنقيص الفوائد وماذا ابعث الدول عَلَى معارضتها

تريد حكومة بريطانيا ان تسود عَلَى مصر وتستعبد اهلها وترى ان بقاء الحالة المالية عَلَى اصولها السابقة يرجع بالمنفعة عَلَى الدائنين من الامم المختلفة فلا يكون حظ الخزينة الانكليزية الخاصة من ثروة مصر وافر ولهذا بادرت قبل اعلان الحماية او السيادة او الاستملاك بالسعي في تخفيض فائدة الدين لتستأثر فيما بعد بما تزعم التفضل به الان على المصريين فهي تسعى لفائدتها الخاصة ليس الا هذا قصدها لم يخف عَلَى الدول فقمن بمعارضتها واصررن حرصا عَلَى مصالحهن لاتهدر فداء الحظوظ الانكليز وقضاء لشهواتهم يهم الدول جلاء الانكليز عن مصر عاجلا او آجلا لهذا تهتم بسد ابواب الحيل عليهم واقامة العقبات الصعبة في كل خطوة يخطونها الى مآربهم

ظهرت مقاصد الانكليز وانكشفت مضمراتهم لعموم اوربا ولم يبق فيها ريبة عند دولة من الدول الاوربية وان كان بعض الغفل في تلك البلاد المنكودة الحظ) لانريد نوبار باشا فانه ضارب في طريقه ذاهب الى مقصده يتزلف للانكليز بكل مايمكنه لينال بهم ماشرنا اليه مرارا) تسول لهم انفسهم اما جهلا واما طمعا ان يميلوا مع ريح الحكومة الانكليزية ويظنون انها لاتقصد بالبلاد المصرية الا خيرا فاذا فاض الخير في البلاد وشملت الراحة جميع انحائها انجلت العساكر الانكليزية عنها

كما جائت اليها ورجعوا الى بلادهم فرحين بانهم ادوا فرائض الذمة وحقوق الانسانية

والعجب من هولاء المغرورين كيف لم يعتبروا بحركات اللورد نور ثبروك يتجول في البلاد المصرية ويستدعي اليه العمد والمشائخ ويذاكرهم فيما يريد طورا بالسر واخر بالعلن ويجاذبهم اطراف الاحاديث فيما يمكن ان يتخذ وسيلة لتمكين حكومته من الولاية على تلك البلاد اما كان يكفي هذا السير لدرك الحقيقة فبم يعلل الغافلون انفسهم واي اوهام تخيل لهم مايظنون الم يكشف الغطاء عن نية السوء سؤال اللورد نورثبورك للشيخ العباسي المهدي شيخ الجامع الازهر ومفتي القاهرة حيث افتتح الكلام معه بقوله ماذا تعلم من افكار الاهالي لواردنا (نحن الانكليز ان نديم الاقامة في البلاد فلو لم يكن لدولة الانكليز عزم على تملك وادي النيل فكيف كان هذا السياسي الداهية يبتدر شيخاً من اجل المشائخ واعلاهم مقاماً في القطر المصري بهذا السوأل مع ان اقل مافيه اثارة الظنون واحداث الريب اجابه حضرة الشيخ بما يفيد نفرة القلوب من بقاء الانكليز في معاهد مصر فاستدرك اللورد مافرط منه بقوله انا لانريد البقاء ولكن كان استدراكه مناقضا لما دل عليه اول سوأله وما الانكار الا خديعة لاتخفى عَلَى الصبيان فضلاً عن الراشدين يريد اللورد بهذه المحاولات ان يستكنه مضمرات القلوب ليتبين له ضروب السير الى مايقصد من التسلط عَلَى ارض مصر

حتى اذا سد في وجهه باب حاول قرع باب اخر

اما آن لهولاء المخدوعين ان يرجعوا لانفسهم ويمدوا نظر الانتقاد لحركات هذا الورد · اي اصلاح يقصده اللورد من طرد العساكر المصرية والغاء كل مايسمى جنداً مصريا ومحو هذا الاسم من دفاتر الحكومة المصرية · ان اللورد يلح بكل اهتمام على استبدال الجند المصري باعوان الشرطة والخفر المسمى بالضابطة ماهذا الاهتمام ان لم يكن من قصده تمهيد الطرق للتسلط التام على مصر · هذا سبيل سلكه الانكليز في جميع فتوحاتهم كما نبهنا عليه مراراً وان هذا الكيس الداهية الانكليز لايحيد عنه بعد ماسلكه اسلافه من قبله وقفاهم عليه عندما كان حكمدار الهند وجنوا ثمارة · يجتهد بما في وسعه لطرد العساكر المصرية وابدالهم بالضابطة ليقترح بعد ايام تبديل رجال الضابطة المصريين باقوام من الجيوش الانكليزية البريطانية او الهندية تعللاً بفساد اخلاق المصريين وعدم اهليتهم للخدم النظامية وعجزهم عن القيام بوظائف الضبط وصيانة الراحة وبذلك يجرد الحكومة من جميع قواها وتكون السلطة الانكليزية سائدة في جميع الجهات بلا معارض لها من طرف الحكومة العملية كل هذا يجربه قبل اعلان السيادة والاستملاك كما فعل سابقوه في الهند مع كل نواب وراجا ولا يزال يفعل خلفهم من بعدهم

يزعم الانكليز ان تدخلهم في مصر انما كان لتسكين الاضطراب وازالة العصيان وتقرير الراحة · ارتفع العصيان وسجن عرابي وروساء

حزبه وتبددت جموعهم ولم يبق اثر لما سموه عصايانا والزمت دولة بريطانيا حكومة مصر بالتنازل عن السودان من مدة طويلة فماذا تريد من ارسال الجيوش الى مصر الان · المجرد انقاذ كوردون كما يدعي رجال الانكليز · انهم يقولون ان كوردن يسوق مراكبه في كل وقت لمحاربة الثائرين وتشهد للجرائد الانكليزية نفسها بانه يستطيع الخلاص باي وجه متى شاء فليس هناك حاجة الى تجريد الجيوش وسوقها الى الاراضي المصرية تحت هذة التعلة · هل تريد حكومة بريطانيا بتوقية جيوشها ان ترفع الخلل الداخلي وتكف ايدي الناهبين وقطاع الطريق هذا خلل ماحدث الا بوجود الجيوش الاجنبية والنفرة من السلطة الغريبة فكيف يمكن محو الشي بتقوية علل وجوده هذا الخلل يرتفع ويمحى اثره اذا انجلى جيش العدو عن الديار ولم يبق له فيها رؤس ولا اذناب نعم هذه كلها تعلات يزعمها الانكليز حجابا لما يسعون اليه من الاستعلاء عَلَى عرش السيادة في مصر وحط الرحال في سهولها وحزونها

فلم يبق بعد هذا سوى ان ينتبه الغافل و يلتفت صاحب الامر الى مايحف به ليحترس من هذا الكيد العظيم ولا يعين الانكليز على مقاصدهم جهلا منه او اغتراراً بما يخيلون له من نفع يعود على شخصه او بلاده · سبحان الله هل كان مثل هذا الامر يحتاج الى تنبيه · هذا محل العجب من غفلة امراء الشرق لاتفيدهم التجارب ولا تربيهم المحن ولا تعلمهم الحوادث ولا تدر بهم النوازل وتناوب الرزايا والمصائب · من

له ادنى خبرة بسير الانكليز في ماضيهم او حاضرهم يعلم انهم يملكون البلاد بايدي سكانها ويقتلون امراءها بسيوف انفسهم . يرى هذا الامير الشرقي في ارض جاره فيظن النازلة خاصة بموقعها فيلهو عنها ولا يخشى السقوط فيما سقط فيه غيره فيقع في نفس الشرك الذي صيد به جاره . مثلهم مثل الاغنام يسوق الجزار منها واحداً بعد واحد الي المجزرة وسائر القطيع في غفلة عما يجري على آحاده يرعى ويرتع آمنا مطمئنا حتى يفنى . لاعار على امة قليلة العدد ضعيفة القوة اذا تغلبت عليها امة اشد منها قوة واكثر سواداً وقهرتها بقوة السلاح وانما العار الذي لايمحوه كر الدهور ولا ينسيه تطاول الازمان هو ان تسعى الامة او احد رجالها او طائفة منهم لتمكين ايدي العدو من نواصيهم اما غفله عن شؤنهم او رغبة في نفع وقتي وجزاء نقدي على خيانتهم فيكونون باحثين عن حتفهم بظلفهم .

علينا ان نرفع اعلام المحبة الوطنية ونحمل عوامل الشهامة الاسلامية ونوقد نيران الغيرة الجنسية لنخيب آمال الانكليز ونرد كيدهم في نحورهم ونقذف باولئك المغفلين الذين يميلون اليهم خارج تخوم هذه الحياة ليلحقوا بالخائنين ممن سبقهم ويذوقوا عذاب الهون بما كانوا يكسبون . هذا اذا حصل اليأس من تيقظهم ورجوعهم الى الحق والصدق في محبة الاوطان ورعاية مصالحها فان تابوا واصلحوا وانابوا كان الحق ظهيرهم وكان الله وليهم ونصيرهم وهو نعم المولى ونعم النصير .

اخفاق سعي الانكليز

بينا العلة في اهتمام الانكليز بتحوير قانون المالية المصرية ومعارضة الدول لهم فيما يرغبون ولما لم يجدهم الحاحهم نفعا وثبتت الدول في امتناعها نكبوا عن طريقهم واستكانوا لرأي الدول واعلن ترجمان سرهم ولسان حالهم (نوبار باشا) لجميع قناصل الدول في مصر ان الحكومة المصرية (الانكليزية) رجعت عما عزمت عليه وكانت نفذته من توقيف الاستهلاك . كان قصد الانكليز بهذا التصرف اثبات سلطة وثنوية شوكة عَلَى المصالح العامة في مصر وهو نفوذ عاجل وكانوا يوملون فيه فائدة آجلة كما اشرنا اليه ولما راوا ان طول الزمن عَلَى معارضة الدول لهم ربما يحول بينهم وبين غايات اخر يبتغون الوصول اليها انقلبوا عن وجهتهم ونقضوا عزيمتهم بلا خجل ولا نظن ان يخفى عَلَى المصريين سر العزيمة الاولى وسر النقض الثاني وان هذا التنازل انما دعت اليه الضرورة الحاضرة ووجود العقبة السياسية اما سائر مطامعهم وبقية مقاصدهم فانهم يغذون اليها السير ولا يدعون منها نقيرا الا ان تصادمهم جيوش الهمم وتقوم في وجوههم عقبات العزائم . هنالك يرجعون بالخيبة ويخسرون خسرانًا مبينا .

اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
قل ان الموت الذي تفرون منه
فانه ملاقيكم

شهد العيان ودلت الاثار عَلَى ما صدر من بعض افراد الانسان من اعمال تحير الالباب وتدهش الافكار ينظر اليها ضعفاء العقول فيعدونها معجزات وان لم تكن في ازمنة النبوات ويحسبونها خوارق عادات وان لم تكن من تحدي الرسالات وقد ينسبها الغفل الى حركات الافلاك وارواح الكواكب وموافقة الطوالع . ومن القاصرين من يظنها من احكام الصدف وقذفات الاتفاق عجزا عن درك الاسباب وفهم الصواب * اما من اتاه الله الحكمة ومنحه الهداية فيعلم ان الحكيم الخبير جل شانه وعظمت قدرته اناط كل حادث بسبب وكل مكسوب بعمل وانه قد اختص الانسان من بين الكائنات بموهبة عقلية ومقدرة روحانية يكون بهما مظهراً لعجائب الامور وبهذه المقدرة وتلك الموهبة مناط التكاليف الشرعية وبهما استحقاق المدح او الذم عند العقلاء والثواب او العقاب عند واسع الكرم سريع الحساب .

اذا رجع البصير الى القياس الصحيح راى في تشابه القوى الانسانية وتماثل الفطرة البشرية ما يدل عَلَى تقارب العقول بل عَلَى استواء المدارك وارشده الفكر السليم الى ان فضل الله قد اعد كل انسان للكمال ومنحه ما يكون به مصدراً لفضائل الاعمال عَلَى تفاوت لا يظهر به الاختلاف بينها الا للنظر الدقيق * هنا وقفة الحيرة . استعداد فطري للكمال في خلقة الانسان . ميل كلي في كل فرد لان يتفرد بالفخار ويمتاز بجلائل الاثار وفضل عام من الجواد المطلق سبحانه وتعالى لا يخيب طالبا ولا يرد سائلا اذا صدق القاصد في قصده واخلص السالك في جده . فما العلة في اخلاد الجمهور الاعظم من بني الانسان الى دنيات المنازل وقصورهم عن الوصول الى ما اعدته لهم العناية ويستفزهم اليه الميل الغريزي

خصوصاً ان كانت النفوس مومنة بعدل الله مصدقة بوعده ووعيده ترجو ثواباً عَلَى الباقيات الصالحات وتخشى عقابا عَلَى ارتكاب الخطيئات وتعترف بيوم العرض الاكبر يوم تجزى كل نفس بما كسبت من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرايره * ماذا يقعد بالنفوس عن العمل ماذا ينحدر بها في مزالق الزلل . اذا ردت المسببات الى اسبابها وطلبت الحقائق من حدودها ورسومها وجدنا لهذا علة ام العلل ومنشا يقرن به كل خلل * الجبن *

الجبن هو الذي او هي دعائم الممالك فهدم بناها . هو الذي قطع روابط الامم فحل نظامها هو الذي وهن عزائم الملوك فانقلبت عروشهم واضعف قلوب العالين فسقطت صروحهم . هو الذي يغلق ابواب الخير في وجوه الطالبين و يطمس معالم الهداية عن انظار السائرين . يسهل عَلَى النفوس احتمال الذلة ويخفف عليها مضض المسكنة ويهون عليها حمل نير العبودية الثقيل يوطن النفس عَلَى تلقي الاهانة بالصبر والتذليل بالجلد و يوطىء الظهور الجاسية لاحمال من المصاعب اثقل مما كان يتوهم عروضه عند التحلي بالشجاعة والاقدام . الجبن يلبس النفس عارا دون القرب منه موت احمر عند كل روح زكية وهمة علية . يرى الجبان وعر المذلات سهلا وشظف العيش في المسكنات رفها ونعيما .

* ومن يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام * لا بل يتجرع مرارات الموت في كل لحظة ولكنه راض بكل حال وان لم يبق له الاعين تبصر الاعداء ولا ترى الاحباء ونفس لا يصعد الا بالصعداء واحساس لا يلم به الا الم اللاواء . هذه حياته . اضاع كل شي في القناعة بلا شي وهو يظن انه ادرك البغية وحصل المنية .

ما هو الجبن . انخذال في النفس عن مقاومة كل عارض لا يلائم حالها وهو مرض من الامراض الروحية يذهب بالقوة الحافظة للوجود التي جعلها الله ركنا من اركان الحياة الطبيعية وله اسباب كثيرة لو لوحظ جوهر كل منها لرايناها جميعها يرجع الى الخوف من الموت . الموت مآل كل حي ومصير كل ذي روح . ليس

للموت وقت يعرف ولا ساعة تعلم ولكنه فيها بين النشاة وارذل العمر ينتظر في كل آن و يرتقب في كل لحظة ولا يعلمه الا مقدر الاجال جل شانه وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت . يشتد الخوف من الموت الى حد يورث النفس هذا المرض القاتل بسبب الغفلة عن المصير المحترم والذهول عما اعده الله للانسان من خير الدنيا وسعادة الاخرة اذا صرف قواه الموهوبة فيما خلقت لاجله . نعم يغفل الانسان عن نفسه فيظن ما جعله الله واقيا للحياة وهو الشجاعة والاقدام سببا في الفناء . يحسب الجاهل ان في كل خطوة حتفا ويتوهم ان في كل خطرة خطراً مع ان نظرة واحدة لما بين يديه من الاثار الانسانية وما نالته طلاب المعالي من الفوز بامالهم وما ذللوا من المصاعب في سيرهم تكشف له ان تلك المخاوف انما هي اوهام واصوات غيلان ووساوس شياطين غشيته فادهشته وعن سبيل الله صدته ومن كل خير حرمته

الجبن فخ تنصبه صروف الدهر وغوائل الايام لتغتال به نفوس الانسان وتلتهم به الامم والشعوب هو حبالة الشيطان يصيد بها عباد الله و يصدهم عن سبيله هو علة لكل رزيلة ومنشا لكل خصله ذميمة لا شقاء الا وهو مبداؤه ولا فساد الا وهو جرثومته ولا كفر الا وهو باعثه وموجبه ممزق الجماعات ومقطع روابط الصلات هازم الجيوش ومنكس الاعلام ومهبط السلاطين من سماء الجلالة الى ارض المهانة . ماذا يحمل الخائنين عَلَى الخيانة في الحروب الوطنية اليس هو الجبن . ماذا يبسط ايدي الادنياء لدنيئة الارتشاء اليس هو الجبن . ربما تتوهم بعد المثال فتامل فان الخوف من الفقر يرجع في الحقيقة الى الخوف من الموت وهو علة الجبن . سهل عليك ان تعتبر هذا في الكذب والنفاق وسائر انواع الامراض المفسدة لعيشه الانسان * الجبن عار وشنار عَلَى كل ذي فطرة انسانية خصوصاً الذين يؤمنون بالله ورسله واليوم الاخر و يوملون ان ينالوا جزاء لاعمالهم اجراً حسناً ومقاماً كريماً

ينبغي ان يكون ابناء الملة الاسلامية بمقتضى اصول دينهم أبعد الناس عن

هذه الصفة الرديئة (الجبن) فانها اشد الموانع عن اداء ما يرضي الله وانهم لا يبتغون الا رضاه . يعلم قراء القرآن ان الله قد جعل حب الموت علامة الايمان وامتحن الله به قلوب المعاندين و يقول في ذم من ليسوا بمؤمنين الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الذكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشيه الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب الخ الايات . الاقدام في سبيل الحق و بذل الاموال والارواح في اعلاء كلمته اول سمة يتسم بها المؤمنون . لم يكتف الكتاب الالهي بان تقام الصلاة وتوتى الذكاة وتكف الايدي وعد ذلك مما يشترك فيه المؤمنون والكافرون والمنافقون بل جعل الدليل الفرد هو بذل الروح في اعلاء كلمة الحق والعدل الالهي بل عده الركن الوحيد الذي لا يعتد بغيره عند فقده * لا يظن ظان انه يمكن الجمع بين الدين الاسلامي و بين الجبن في قلب واحد . كيف يمكن هذا وكل جزء من هذا الدين يمثل الشجاعة و يصور الاقدام وان عماده الاخلاص لله والتخلي عن جميع ما سواه لاستحصال رضاه

المؤمن من يوقن ان الاجال بيد الله يصرفها كيف يشاء ولا يفيده التباطو عن اداء الفروض زيادة في الاجل ولا ينقصه الاقدام دقيقة منه . المؤمن من لا ينتظر بنفسه الى احدى الحسنيين اما ان يعيش سيداً عزيزاً واما ان يموت مقرباً شهيداً وتصعد روحه الى اعلى عليين و يلتحق بالكوربيين والملائكة المقربين

من يتوهم انه يجمع بين الجبن و بين الايمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقد غش نفسه وغرر بعقله ولعب به هوسه وهو ليس من الايمان في شيء . كل آية من القرآن تشهد على الجبان بكذبه في دعوى ايمان . لهذا نؤمل من ورثة الانبياء ان يصدعوا بالحق و يذكروا بايات الله وما اودع الله فيها من الامر بالاقدام لاعلاء كلمته والنهي عن التباطي والتقاعد في اداء ما اوجب الله من ذلك وفي الظن ان العلما لو قاموا بهذه الفريضة (الامر بذاك المعروف والنهي عن هذا المنكر) زمناً قليلاً ووعظوا الكافة بتبيين معاني القرآن الشريف واحيائها في

انفس المؤمنين رأينا لذلك اثراً في هذه الملة يبقى ذكره ابد الدهر وشهدنا لها يوماً تسترجع فيه مجدها في هذه الدنيا وهو مجد الله الاكبر فالمومنون بما ورثوا عن اسلافهم وبما تمكن في افئدتهم من اثار العقائد لايحتاجون الا لقليل من التنبيه ويسير من التذكير فينهضون نهضة الاسود فيستردوا مفقوداً ويحفظوا موجوداً ويتالوا عند الله مقاماً محموداً

زلزال الانكليز في السودان

نقلت الجرائد الانكليزية تلغرافاً ورد الى جريدة الستندارد من دونقلا ثم كررت ذكره وثبتت مفاده ايا ما متواليات ومحصله ان الالسن تلهج في مدينة دونقلا وفيما بين الجيوش الانكليزية بقدوم جيش محمد احمد والحديث مستفيض في جميع المعسكرات بانه زاحف اليهم بجيشين احدهما يأتي من الصحراء والآخر على شطوط النيل وانهم لابد ان يلاقوا منه صدمة شديدة لا قبل لهم باحتمالها وقد استولى بذلك الاضطراب والتشويش على افكار العساكر خصوصاً عساكر مدير دونقلا لا خوفاً وفزعاً فقط ولكن لما ايقنوا به واطمأنوا اليه من ان السلطان راض عن اعمال محمد احمد بل صدرت منه التنبيهات الى جميع المؤمنين في تلك الاطراف بان يتجنبوا محاربة هذا القائم وان يعتبروا الانكليز في منزلة العدو الالد ويقاوموهم مقاومة الآيسين اه

كنا نعلم ان جميع المسلمين وعموم الوطنيين يرون من فروض ذمتهم

السعي في معاكسة سير الانكليز واقامة الموانع في طريقهم بقدر الطاقة والامكان قياماً بما يوجبه الدين والوطن ولا يحتاجون في الانبعاث لهذا العمل الشريف الى امر سلطاني فان الشريعة الالهية والنواميس الطبيعية في كل ملة وكل قطر من اقطار الارض تطالب كل شخص بصيانة وطنه والذود عن حوزته وتبيح الموت دونه بل توجبه في مدافعة الباغين عليه وتدعو كل ذي عقل لاخذ الحذر من حيل المحتالين والتوقي من الارواح الشريرة الخبيثة التي تتجلى في اشكال من الصور منها ما يخطف بروقه الظاهر لب الالباب ويذهب بهوة الصوري بنور الابصار وهي منابع الشر ومصادر الفساد ومهب رياح الفتن والاختلال . تلك ارواح الاجانب ونفوس الاباعد الذين يهتكون حرم البلاد ويخفضون شؤون العباد ويغمطون الحقوق ويفسدون الاخلاق ويذلون النفوس * المدافعة عن الوطن امر طبيعي وفرض معاشي يكاتف في دعوة الطبيعة اليه الميل الى الطعام والشراب فليس يمدح القائمون به ولا يثنى عليهم في ادائه . نعم تتجلى صورهم الجميلة محلاة باوصافها الفاضلة في مرايا التواريخ عندما يمر النظر اليها على تماثيل الخائنين الذين جاوزوا تخوم الطبيعة وصيغت لهم هياكل من اللعن الابدي مسربلة بالخزي والعار السرمدي هكذا يعرف الشيء بضده

لسنا نعني بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ويسلمها للعدو بثمن بخس او بغير بخس (وكل ثمن تباع به البلاد فهو بخس) بل خائن الوطن من

يكون سبباً في خطوة يخطوها العدو في ارض الوطن بل من يدع قدماً لعدو تستقر عَلَى تراب الوطن وهو قادر عَلَى زلزلتها ذلك هو الخائن في اي لباس ظهر وعَلَى اي وجه انقلب · القادر عَلَى فكر يديه او تدبير يانيه لتعطيل حركات الاعداء ثم يقصر فيه فهو الخائن من لم يستطع عملاً وامكنه ان يرشد العامل وتهاون في النصيحة فقد خان من سوف عمل اليوم الى غد وتوانى في تضليل كيد الاعداء بقول او فعل فقد ارتكب خطيئة الخيانة و كل خائن لوطنه او ملته فهو ملعون عَلَى السنة الانبياء والمرسلين وممقوت في نظر العالم اجمعين · ما اعظم جريمة الخيانة « المساهلة في شؤون الاوطان » يأتي الزمان بطوله على كل شيء فيمحو اثره و يطمس رسمه الا وصمة الخيانة فلا تطويها الادهار ولا يخفيها تطاول الاعصار · محيت اسماء العظماء والملوك والسلاطين ولكن لم تمح اسماء الخائنين · لوث على وجه الزمان ودرن في صفحة الامكان مكتنفة باللعنة محفوفة بالمقت الى ابد الابدين · لا يحيط القلم بوصف الخائن وما يتبعه من الشنائع ولكن النفوس مهما تدانت في الادراك تشعر بعظم جرمه فلنرجع الى موضوع كلامنا

كنا عَلَى يقين ولا نزال عليه · ان الذات الشاهانية وهي الاب الاكبر لعموم المسلمين وهي الكافلة للشريعة الحافظة للدين هي اجدر الناس بالالتفات الى حركة الاعداء في البلاد الاسلامية وهي لا تالو جهدا في تعويق سيرهم واحباط اعمالهم ولا يمكن ان يطمئن للسلطان

قلب وهو يرى ان امة عظيمة من اخلص الامم في الولاء له والخضوع لشوكته سقطت تحت السلطة الاجنبية وانه لحرج الصدر من اعمال الحكومة الانكليزية وعدوانها على الحقوق العثمانية والاسلامية والمصرية بلغت غشمرة الانكليز الى حد لايحتمل فليس من الغريب ان تضيق بها الصدور وتفيض بالغيظ منها القلوب وتبلى منها دروع الصبر وتذوب سابغات الجلد ٠

فيا ايها المصريون هذه دياركم واموالكم واعراضكم وعقائد دينكم واخلاقكم وشريعتكم قبض العدو على زمام التصرف فيها غيلة واختلاسا زحف العدو اليكم تحت راية المحبة ثم قلب لكم ظهر المجن وتناول بيده الظالمة شؤنكم العامة من عسكرية ومالية وادارة وقضاء ولم يبق لكم شيا الا الحرمان من خدمة اوطانكم وانتم احق بها وطالما دافعتم عنها في الايام السابقة ٠ هذا وهو لم يأمن طوارق السياسة الخارجية ولم يسح القوى الداخلية يطلب استمالة القلوب اليه وجمع النفوس عليه فكيف به اذا رسخت اقدامه وارتكزت اعلامه وخلا له الجو من المعارضين ٠ ماذا ترجون من مطاولته وماذا تؤملون في ارخاء العنان له وماذا تهابون في معارضته والاخذ على يده اما رجاء الخير منه فوهم فاسد وخيال باطل فقد رأيتم انه افسد شؤنكم واقلق راحتكم وحرم رجالكم من الخدم واقفر الافا مؤلفة من العائلات ووهب من بلادكم لاعدائكم واضر بمنافعكم العامة من زراعة وتجارة وصناعة فاغلق

ابواب الكسب في وجوهكم وقصد الى التداخل فيما يختص باموردينكم (كالاوقاف) وعمد الى خرق سياجكم وازالة قوتكم بطرد جنودكم وهذه اوائل اعماله فكيف تكون نهايتها · فماذا تخشون منه · هل تخشون ان تنقص اموالكم وثمرات كسبكم اذا اديتم حقوق وطنكم ودافعتم عدوكم ربما يختلج هذا بخاطر بعضكم وهو من عجيب الخواطر · انتم واقعون بسكونكم فيما تخافون منه · انتقصت الاموال والثمرات وفاضت العبرات وزادت الحسرات وان زدتم في الخضوع زادكم عدوكم خسارا واوسعكم خرابا ودمارا · ان رسخت قدم العدو بينكم لايبقى منكم غني الا افتقر ولا عظيم الا احتقر وان شئتم فانظروا مستقبلكم في مرآة حاضركم واقراوا حالكم في تواريخ من سبقكم ·

هل تخشون اذا قمتم بفروضكم ان يأتي الخطر على حياتكم يمكن ان يعرض هذا الوهم بخيال طائفة منكم ولكن فلتعلموا ان عدوكم في هذا الوقت ضعيف العزيمة خائر القوة · الدول متالبة عليه يترقب منها في كل آن مطالبته بنتائج اعماله ومحاسبته على عواقب تصرفه ثم هو يخشاكم كما يخشى الدول او اشد خشية · انه مسرع في سيره منطلق الى مقصده بغاية مايمكنه ليتخذ لنفسه قرارا مكينا ومقرا امينا ولا يخفاكم ان المسرع في جريه يكبه على وجهه عثرة في مدرة فلو ظهرت منكم في هذا الوقت مقاومة خفيفة او مؤاخذة طفيفة اوتظاهرتم بالنفرة وعدم الرضاء عن سيره فيكم وجهرتم بذلك لرأيتم ان ماءه سراب وسحابه جهام وسيفه

كهام واوقفتم سيره واستعليتم بقوتكم علَى ضعفــه واقمتم للدول حجة قوية في كبحه ورد جماحه والزامه باحترام الحقوق العامــة والخاصة ونزع قوة العمل من يد استبداده وتخويلها لسلطة تحفظ بهــا الموازنة بين حقوقكم وحقوق اوربا كافة · اما لو تركتم عدوكم حتى ينتهي لمقره ويقوى علَى امره ويدوخ السودان ويحيط بجيوشه اعالي البلاد المصرية « لا اناله الله ذلك » صعب بعد هذا تعريفه بقدره وايقافه عند حده وضعفت حجة الدول في معارضته ان اقوم حجــة للدول عليه هي عجزه عن القيام بما كتب علَى نفسه من تقرير الراحة واصلاح ما كان يظن من الخلل في مصر فلو تمكن عدوكم بسكونكم من اظهار قدرته واقامــة الدليل علَى كفاءته للولاية عليكم فقــد فاز بالسيادة فيكم واصبحت دماؤكم واموالكم وجميع شؤون حياتكم في قبضة جوره

في امكانكم الآن ان تضروا بعدوكم وليس في امكانه ان يضر بكم فاذا مضى زمن انعكست القضية واصبحتم في عجز عن مقاواته واصبح وفي يده عصى الجبروت لاذلا لكم

ان كنتم تخافون من الموت او التذليل فهل هو الآن على بعد منكم اليس يؤخذ منكم الابرياء بالشبه الباطلة ويهانون ويذللون وكثير منهم يقتلون ان عدوكم هذا سيحاسبكم علَى خطرات قلوبكم وحركات دمــائكم في ابدانكم كما فعل ويفعل باخوانكم في ديار غير ديار كم ثم لا يبقي على احد منكم · فانتم اليوم اصحاب امركم وهذا قصده اليكم

وفي امكانكم ان تستعينوا الله في التحصن من خطر آجل بدون ضرر عاجل فان شئتم فارحموا انفسكم والا فانتم ساقطون فيما منه تخافون

يا قوم يؤثر في كتبكم من كلام سلفكم . الشجاع محبب حتى لعدوه والجبان مبغض حتى لابيه وامه . تعلمون انه ما عز قوم بالخضوع ولا استهين شعب بالاباء لماذا تعدون انفسكم في الدرجة الدنيا عمن سواكم . الستم تتشابهون في الخلقة مع اعدائكم . الستم تمتازون عنهم بالايمان الصادق والعقائد الصحيحة الستم تنتسبون الى اولئك الابطال الذين دوخوا البلاد وسادوا العباد . الستم تدعون انكم اشرف عنصرا واكرم جوهراً . فأن قمتم بطلب حقوقكم فهل يصيبكم اكثر مما يصيب اعدائكم ان كان الموت فهم يخشونه . ان كان الخسار فهم يرهبونه انهم يالمون كما تالمون وترجون من الله مالا يرجون

لاي شيء يخاطر عدوكم بماله ودمه للتغلب عَلَى ما ليس له ولاي سبب لا تقدمون بشيء من شهامتكم في حفظ ما هو لكم . ان هذا لشيء عجاب . هل نذكركم بقول شاعركم

لايسلم الشريف الرفيع من الاذى حتى يراق عَلَى جوانبه الدم

ليس هذا مقام التذكير وليس المكان مكان المباراة في المجد والمسابقة الى معالي الامور . انما الكلام الان في الدفاع عن الحياة وصيانة ضروريات المعيشة فان لم يستفزكم طلب العلا وسمو الهمم فليستفزكم

تصور الشقاء المنتظر الذي رايتم بوادره ونعوذ بالله ان تدركم
اواخره · استغفر الله لا تزال ترجي فيكم النجدة والشمم والرفعة ·
لايزال دينكم يترقب منكم حمية عليه وغيرة لدفع الغائلة عنه · ان
صاحب الدين صلى الله عليه وسلم ينتظر فيما يعرض عليه من اعمالكم
نهضة لاعلاء كلمة الحق وانفاذه من مخالب اعدائه وان
الله في عزة جبروته لن يدعكم على ما انتم عليه حتى
يعلم الصادقين منكم و يعلم الصابرين يا ايها الذين
امنوا كونوا انصار الله ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين ولا تنهوا
ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان
كنتم مؤمنين